الرسالة



5 me Année, No. 186

Lundi - 25 - 1 - 1937

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٨٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ — ٢٥ يناير سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فهرس العـــدد

محضر جلســـة

للأستاذ أحمد أمين

تذاكر جماعة — من ذوى الرأى — فى الأدب العربى وحاجتـه إلى الاصلاح ، وفيما له من ثروة قديمة قيمة تحتاج إلى الأحياء ، واقترحوا أن يكوّنوا جمعية للأخذ بناصر الأدب ونشر ذخائره ؛ وكان من بينهم من ينتسب إلى الجامعة الأزهرية ، ومن ينتسب إلى الجامعة المصرية ، ومن ينتسب إلى المجمع اللغوى ، ومن هو عضو فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومن يتصل بدار الكتب ، وغيرهم ؛ وصحت عزيمتهم على ذلك ، وعهدوا إلى أحدهم بوضع مشروع قانون للجمعية يحدد غرضها ، ويوضح نهجها ، واختاروا يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ الساعة الخامسة بعد الظهر لقراءة المشروع

فلما حان الموعد حضر واحد فقط ، وخُيّـل إليه أنه أخطأ اليوم ، أو أخطأ الساعة ، أو أخطأ المكان ، فأعاد قراءة الدعوة فإذا كل شيء من الزمان والمكان صحيح . وبعد ربع ساعة حضر آخر ، فتبادلا العجب من عدم حضور الأعضاء فى الموعد

وأخذ من تأخر يلقى محاضرة قيمة فى المحافظة على الزمن ، وكيف هى عند الانجليز والفرنسيس والألمان ، وما جرى له من

أحداث فى هـذا الباب أيام كان فى أوربا ، وحاجة المصريين إلى معرفة قيمة الزمن ؛ وقد استغرقت محاضرته القيمة ربع ساعة كان قد حضر فى أثنائه عضوان آخران فاشتركوا جميعاً فى الحديث عن قيمة الوقت ، وكل يروى نادرة فى هذا الموضوع طريفة ، وقصة ممتعة ؛ وتختم النادرة أو القصة بضحكات عالية يدوّى بها المكان ، وتتخلل الضحكات تعليقات على ما يُروَى تسلسِلُ الضحك وتُتابع الفكاهة

ولا أطيل عليك ، فقد تم اجتماع أغلب الأعضاء فى الساعة السادسة والنصف ، وقد اعتذر بعضهم بزيارة صديق له عند خروجه ، وآخر بتعطيل الترام له ، وثالث بأن من عادته أن ينام بعد الظهر وقد طال نومه على غير عادته ، ورابع بأنه نسى الموعد لولا أنه لقى فلاناً مصادفة فذكّره به

أخذوا يتناقشون فى هل يختارون رئيساً للجلسة حتى يتم القانون ؟ انحاز إلى هذا الرأى فريق ، لأنه لا بد لكل جلسة من رئيس يدير المناقشة ويأخذ الأصوات ؛ وعارض فريق بحجة أننا نريد أن نكون دمقراطيين لا رئيس ولا مرءوس ، وأنه حتى بعد أن يتم القانون لا حاجة لنا إلى رئيس ، فكلنا سواسية فى الرأى ، ويكفى أن يكون للجلسة « ناموس » يدون الآراء ويأخذ الأصوات

ولا أطيل عليك أيضاً فقد وافت الساعة السابعة والجدل على أشده فى هذا الموضوع الخطير ! وعند تمام الساعة السابعة والنصف انتصر الفريق الأول فكان لا بد من رئيس

ولكن عرضت مشكلة أخرى أخطر من الأولى : هل يختار الرئيس بالسن أو بالاقتراع السرّى ؟ قال قوم بهذا ، وقال قوم بذاك . وكاد يحتدم الجدل على نمط المسألة الأولى لولا أن أحد الحاضرين قال : أختار فلاناً ليدير هذه الجلسة ، فخجل الآخرون أن يطعنوا فى هذا الاختيار ، فسكتوا وكفى الله المؤمنين القتال

***

وطُلب من المقرر أن يقرأ المادة الأولى فقرأها ، ونصها : «أنشئت بمدينة القاهرة جمعية تسمى جمعية إحياء الأدب العربى »

— ا — : هل يقال : « أنشئت » أو « تنشأ » ؟ أظن أن الأصح أن يقال : « تنشأ » ، لأن الجمعية لم تتكون بعد ، فكيف يعبر بالماضى فيقال أنشئت ؟

— ب : هذا رأى فى محله ، لأن إنشاء الجمعية مستقبل ، والذى وضع للدلالة على المستقبل هو الفعل المضارع والأمر لا الفعل الماضى . فاذا قلنا أنشئت دل على أنها تكونت فى الزمن الماضى ، وليس ذلك بصحيح

— حـ : الفرض فى القانون أن يوضع فى شكل يدل على أن الجمعية أقرته ، فواضع القانون فرض أن الجمعية اجتمعت وأقرت القانون وألبسته ثوبه النهائى ، ولذلك يوضع فى صيغة الماضى

— د : وأمثال ذلك كثيرة ، فكاتب المقود يقول : «فى تاريخه أدناه قد باع فلان لفلان كذا » ثم يمضى البائع والمشترى العقد ؛ وقبل الامضاء كان البيع مستقبلا ، ومع ذلك عبر عنه بالماضى

— هـ : ومع هذا فلِمَ تذهبون بعيداً ؟ والماضى يستعمل فى المستقبل كما قال تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فأمر الله هو يوم القيامة وهو لم يأت بعد ، وإنما عبر عنه بالماضى للايذان بأنه أمر محقق ، أو للتنبيه على قرب مجيئه ، فهنا كذلك، لما كان تكوين الجمعية محققاً إن شاء الله أو قريب الوقوع يعبر عنه بالماضى على سبيل المجاز

— و : الأمر أبسط من هذا كله ، فاذا قلنا « أنشئت » أو « تنشأ » لا يترتب على ذلك ضرر ، وهو لا يقدم الجمعية ولا يؤخرها ؛ إنما ينهض بالجمعية عملها فى تحقيق غرضها ، فاذا حققته لا يضرها أنشئت أو تنشأ ، وإذا لم تحققه لا ينفعها أنشئت أو تنشأ

— ا (محتداً) : ولكننا نجتمع لأحياء الأدب العربى فأقل مايجب علينا أن تكون عبارتنا صحيحة لفظاً ومعنى ، نحواً وبلاغة ، وإلا أعطينا مثلاً سيئاً لأحياء الأدب العربى

— الرئيس : أظن أن الأمر وضح ؛ فلنأخذ الآراء على « أنشئت » أو « تنشأ »

— ز : لكن بقيت مسألة : أليست « تكونت » خيراً من « أنشئت » لأن الانشاء فى اللغة هو الخَلْق ، والخلق يكون من العدم ، وليست أفراد الجمعية معدومين حتى يقال فيها أنشئت ؛ إنما هى موجودة مفرقة ، فهى تتجمع وتتكون لا تُنشأ

— ا : ومن قال إن التكوين لا يكون من العدم ؟ فى كتب

المتكلمين « إن التكوين إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود » وفى التوراة سفر اسمه سفر التكوين وفيه حكاية خلق العالم ، والعالم قد خلقه الله من العدم

(أراد (ز) أن يرد عليه فقاطعه الرئيس وأخذ منه الكلمة)

— الرئيس (فى شىء من الضجر) : أرى أن نكتفى بهذه المناقشة فى هذا الموضوع ونأخذ الأصوات على ما يأتى : هل نقول أنشئت أو تنشأ ، أو تكونت أو تتكون ؟

— ا : لا ، بل نأخذ الرأى — أولاً — على أن تصاغ الكلمة من مادة الانشاء أو من مادة التكوين ، وبعد ذلك نأخذ الرأى هل نعبر بالماضى أو المضارع

— الرئيس : وهو كذلك

(أخذت الآراء — أولاً — فكانت الأغلبية فى جانب مادة الانشاء ؛ ثم أخذت — ثانية — فخرجت الأغلبية فى جانب أنشئت

— الرئيس : إذن ننتقل إلى المادة الثانية

— ا : لا ، بل لا تزال هناك مسألة فى المادة الأولى على جانب كبير من الأهمية

— الرئيس : وما هى ؟

— ا : التعبير « بأحياء الأدب العربى » ، فأن هذا تعبير لا أقبله ، وأحتج عليه بكل قوتى ؛ فأنه يدل على أن الأدب العربى ميت ونحن نريد إحياءه ، فهل كان الأدب العربى ميتاً ؟ إنه حى ، وكان حياً فى العصور الماضية وسوف يبقى حياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وكيف نقول إن الأدب العربى قد مات وعلى رأسه القرآن الكريم وقد قال الله تعالى فيه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . إن الأدب العربى حى ، وكل ما نريد أن نعمله الجمعية أن تنظمه أو تنشر كتبه القديمة . فأما لفظ الأحياء فلا ؛ وأنا أنذركم أنكم إذا أصررتم على لفظ الأحياء انسحبت من الجمعية

هنا ساد المجلس صمت رهيب

— ح تشجع وقال : فى الواقع أن المسألة لا تحتاج إلى كل هذا ، فلفظ الأحياء لا يدل على سبق الموت ؛ ألا ترى يا أستاذ

— ا — أن الغزالى سمى كتابه الكبير « إحياء علوم الدين » فهل كانت علوم الدين قبله ميتة ؟ كلا إنما أصابها نوع من الركود والجمود ، فأراد الغزالى أن يزيل عنها ركودها وجمودها ، وأن يعرضها عرضاً جديداً يتفق وذوق عصره ؛ ولم يقل أحد إن الغزالى صبأ أو كفر أو تزندق بتسمية كتابه هذا الاسم . وموقفنا الآن من الأدب العربى هو موقف الغزالى من علوم الدين ؛ نريد أن ننهض الأدب ونعرضه فى شكل حديث يتفق وأذواق الناس فى هذا العصر

— ى : وأيضاً فأن الأحياء ترجمة لكلمة «رينسنس» Renaissance وقد استعملها الفرنج للدلالة على حركة النهضة العقلية فى أوربا وبعث المدنية من رقدتها ، والمعنى الحرفى لهذه الكلمة : « الولادة من جديد » فاختار الكتاب المحدثون كلمة الاحياء للدلالة على ذلك

— الرئيس : نأخذ الأصوات على بقاء كلمة « إحياء الأدب العربى » أو تغييرها

— ا ، ه ، ى (فى نفس واحد) : لا ! المناقشة لم تستوف بعد

— الرئيس : الساعة الآن التاسعة فلنؤجل المناقشة إلى الجلسة المقبلة

— الجميع : موافقون

قال صاحبى . ومتى تنتهى قراءة القانون ؟

قلت : فى المشمش . . !

أحمد أمين

لجنة التأليف والترجمة والنشر

مع المتنبى

للدكتور طه حسين بك

أتمت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع هذا الكتاب القيم ويقع فى جزأين كبيرين وثمنه ثلاثون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ٩ شارع الكرداسى ومن المكاتب الشهيرة

في النســيان

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أعوذ بالله من قولة « أنا » ؛ ولكني مصاب بنفسي وهـذا عذري . وشر ما أصبت به منها النسيان ؛ وحسبك به بلاء عظيما . وقد صرت بفضله — أو من جرائه — امرأً له الساعة التي هو فيها ، فأعفيت من الهموم كما أعفيت من اللذاذات أو المسرات ومن ذكرياتها الحلوة . ولا آسف على ذلك فقـد تكافأ الربح والخسارة . ولو أراحني الناس كما أراحتني نفسي لتمت لي السعادة في هذه الدنيا الدنية . ويبلغ من نسياني أني أكون ذاهباً إلى فراشي في الليل فأراني أقف أمام السرير متردداً حائراً لا أدري ماذا جاء بي إلى هنا . . أهي علبة السجائر ، أم أريد المعطف أو العباءة ؟ هذا في الشتاء — أم ماذا يا ترى ؟ ثم أستخير الله وأقول لنفسي : « نم يا شيخ وأرح نفسك من عناء المحاولة فما فيها فائدة »

وأرقد على فراشي ، فتدور في نفسي معان وتتمثل لذهني صور أتعلق منها بما يروقني فأغمض عيني — وقد قرت — وأقول إن شاء الله في الصباح أكتب الفصل أو أرسم الصورة أو أقص القصة .. وأقرأ الفاتحة للموتى وآية الكرسي ليحفظني الله من العين وأنام . ويطلع الصبح فأستيقظ مع الدجاج فاذا بي قد نسيت كل شيء ، وإذا بالصور والمعاني قد مسحت بقدرة ربك من اللوح ولم يبق منها ولا أثر ضئيل يدل عليها ويهدى إليها ، ويساعد على رجع ما ولى منها ، فأتعزى بأن الذي لا أجده لا يزال هناك وأنه غاب ولكنه لم يمح ، وقد تنتعش الذاكرة فجأة فيطفو ما رسب

ويتفق أن أقف أمام المرآة لأسرح شعري أو أسوى ربطة الرقبة أو أفعـل غير ذلك من الشؤون التي تحوج في العادة إلى المرايا — وإن كنت أنا أستطيع ذلك كله بغير معونتها — حتى إذا صرت أمامها وقفت متعجباً متسائلاً : « لماذا يا ترى أنظر في المرآة ؟ » وأرفع يدي إلى جبيني وأفركه وأحاول أن أتذكر ، ولكن الأمر يعييني فأهز رأسي وأمضي لشأني

وأقول وأنا ماض إلى عملي اليومي : إني سأكتب كيت وكيت ، ويشغلني ذلك طول الطريق ، وأصعد إلى مكتبي وألتقي باخواني وزملائي ويجر اللقاء الى التحدث في أمور شتى من عامة وخاصة ، حتى إذا خلا المكان وتناولت القلم وأقمت سنه على الورقة رأيتني أتساءل : في أي شيء كنت أنوي أن أكتب يا ترى ؟ . وكيف أمكن أن أنسى بهذه السرعة العجيبة وقد كنت مشغولاً به طول الطريق ؟ . وأحتاج أن أبحث عن موضوع آخر . . ومن يدري . . فقد يكون الموضوع الذي أهتدي إليه بعد العناء هو بعينه الذي نسيته وأنا أحسبه غيره

ومن كثرة نسياني تحتاج الخادمة أن تحاسبني كلما هممت بالدخول أو الخروج ، فاني أفقد مناديلي لأني أنسى أين أتركها ، أو ألقيها ولا أذكر ماذا صنعت بها ، وزوجتي تعدها مسئولة عن هـذه المناديل التي لا ينتهي الخلاف عليها ولا ينقطع الجدال من جرائها . فأنا أزعم أني تركتها حيث ينبغي أن تترك هذه الأشياء ، والخادمة تنفي ذلك وتؤكد أني لم أفعل — بأدب طبعاً — وتقسم أنها عدتها فألفتها ناقصة ؛ وزوجتي تحدق في وجهي وتسألني : هل أكون مستريح الضمير إذا صدقوني ؟ ومتى وصل الأمر الى الضمير والذمة فأنه لا يسعني إلا أن أتردد وأقول بالأرجح والمعقول كأنها قضية منطقية

فتشير زوجتي الى الخادمة وتقول : « يكفي ... اذهبي يا بنت » فتذهب البنت ولكنها تواجهني حين أهم بالخروج وتسألني كم منديلاً معي ؟ فأصيح « أوووه . . وهل أنا أعرف ؟ . سبحان الله العظيم ! ألا يمكن أن يستريح المرء في هذا البيت ؟ . ما معنى هذا التعطيل ؟ . تنحى من فضلك »

فتقول : « أرجو أن تعدها »

فأقول : « وما الفائدة ، ما دامت تضيع . . . . هـه » وأخرجها من الجيوب وأعدها وأقول « ثلاثة » مثلاً

فترجو ألا أنسى أنها ثلاثة ، فأقول : « طيب . طيب »

وتفتح لي الباب وأنا عائد وتسألني عن المنـاديل ، فأخرج ما أحمل منها وأرمي به اليها وأمضي عنها ، فتـدركني وهي تصيح وتقول : « هذه أربعة . . . من أين جاء الرابع ؟ »

فأتعجب وأقول : « من أين جاء ؟ . . ماذا تعنين .. ربما كنت اشتريته »

فتقول : « ألا يمكن أن تكون أخذت منديل صديق

وأنت . . . وأنت . . . ! »

ويمنعها الأدب والحياء أن تنطق باللفظ فأنوب أنا عنها وأقول « ذاهل . . . أليس كذلك . . . كلا لم يبلغ الأمر هذا الحد . . »

فتلح وتقول : « ولكن من أين جاء إذن ؟ ».

فأقول متململا : « أوووووه . . . إن شكواك لا تنقطع من أن المناديل تنقص وأنت الآن تزعمين أنها زادت واحداً فاحمدى الله إذن وأريحينى »

ولكنى لا أرتاح منها ولا من سنها ولا من الأطفال ، ولا أزال أرى من يجرى ورائى منهم ويخبرنى أنى نسيت الجورب أو لبست اثنين مختلفين ، أو تركت الطربوش ويوشك أن أخرج برأسى عاريا ، الى آخر هذه التوافه التى لا أعرف لها آخرا

وأحسب أن نسيانى إنما يشتد لأن رأسى لا يخلو من شىء يدور عليه تفكيرى ويستغرقنى ذلك حتى لأذهل عما عداه ؛ وقد كانت أمى — عليها رحمة الله — تتعجب لأمرى وتقول لى : « يا بنى ما الذى يطير عقلك ؟ »

فلا يعجبنى هذا وأقول معترضا : « إن عقلى لم يطر . . ثم إن هذا غير معقول . . أم تظنينه حمامة »

فتقول غير عابئة بملاحظتى : « لم يكن أبوك هكذا . . ولا أنا مثلك . . إنك لا تتذكر شيئاً أبداً »

فأقول : « إنى من صنعكما — أنت وأبى المحترم — فأين ذنبى بالله ؟ »

فتقول مستاءة : « لماذا لا تتكلم خيرا ؟ »

فأقبلها وألثم يدها وأسترضيها وأقول معتذرا : « ماذا أصنع إذا كان ربى قد خلقنى هكذا . . . واسع خروق الرأس كالغربال القديم »

فتبتسم وتدعو لى الله أن يرد على ما غرب من عقلى ، فأتقبل دعاءها بالشكر وأمرى الى الله

والأم تحتمل ابنها وتصبر على ما يكون من ذهوله ، ولا تسىء به الظن ، وليست هكذا الزوجة فانها تحمل ذلك على غير محمله ، وتؤوله بأنه قلة اكتراث وعدم مبالاة ، وأن الرجل لا يفكر فيها ولا يفرض لها وجودا ولا يقيم لها وزنا إلى آخر هذا الهراء ؛ وهى سليمة لا تخونها الذاكرة ، فليس فى وسعها أن تدرك بلاء النسيان وأن تعذر المنكوب به . ومن العبث أن يقول لها المرء إن كثرة المشاغل هى التى تطير من الرأس كل ما عسى أن يكون فيه . إذن لماذا لا يشغل الرجل بها هى ولا ينسى ما عداها هى . . . ؟ هذا هو المشكل

وما دخلت البيت مرة إلا شعرت أنى لا بد أن أكون قد نسيت شيئاً أوصتنى به زوجتى ، فأقول لنفسى : « سترك اللهم .. وعونك أيضاً » وقد أكون مخطئاً ولكن الخطأ لا يمنع الشعور الثقيل . وكثيراً ما يتفق أن يكون ظنى فى محله ، فلا تكاد ترى وجهى الناطق بتوقع اللوم حتى تبتدرنى بقولها : «بالطبع نسيت» فأقول وأنا أتكلف الضحك : « أى والله . . صدقت . . الحق أن فراستك قوية »

فتقول : « وما العمل ؟ »

فأسأل متحرزاً : « فى أى شىء ؟ »

فتقول : « فى أن تذكر . . كيف نحملك على التذكر ؟ »

فأقول : « اربطى لعبة فى رجلى فأضطر أن أتذكر كلما سمعت كركرتها »

فتقول : « إنى جادة »

فأقول : « نكتب الشىء فى ورقة واضعها فى جيبى أو مع الساعة »

فتقول : « وتنساها فى جيبك . . وتخرج الساعة فترى الورقة فترميها وأنت ذاهل »

فأقول : « ألبسينى الجاكتة مقلوبة . . أزرارها إلى الخلف »

فتهز رأسها وتقول آسفة « كلا . . لا فائدة . . الأمر لله .. لو كان شيئاً يعالج . . ولكنه مستعص ... لا علاج له »

فأقول متشهداً : « صدقت يا امرأة .. أما والله إنك لمنصفة.. جزاك الله خيراً وقواك على احتمالى »

وأعترف أنى كثيراً ما أنتفع بالمعروف المشهور من نسيانى ، فاذا سألتنى عما لا أريد أن أبوح لها به أو أذكر الحقيقة فيه تظاهرت بالبلاهة وقلت : « وهل أنا أعرف ؟ . وأين العقل الذى يتذكر ؟ . . »

وما قرأت كتاباً إلا نسيت ما فيه — نسيته جملة وتفصيلاً ؛ حتى اسمه واسم كاتبه ؛ وقد أعود إليه فكأنى ما قرأته ولا سمعت به ، فهو فى كل مرة أعود فيها إليه جديد ولو كنت قرأته عشر مرات ؛ وهذا نافع لأن فيه اقتصاداً . وكم من كتاب اشتريته ثم

نسيت أين وضعته ثم يتفق أن أعثر عليه فأقف مستغرباً متسائلاً : أتراني قرأت هذا الكتاب من قبل . . أم لم أفتحه . . على كل حال . . الأمران سيان . . توكلنا على الله »

وأحسب هذا يجعل العلم والجهل سيين . ولولا أني أعرف أن ما أقرأ لا يضيع وإنما يختفي لأغراني ذلك بالانقطاع عن القراءة لقلة ما يبدو لي من فائدتها المحسوسة

إبراهيم عبد القادر المازني

انتصار الحب [١]

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

كلُّ ما يكتب عن حبيبين ، لا يُفهم منه بعضُ ما يفهم من رؤية وجهِ أحدهما ينظر إلى وجه الآخر

وما تعرفه العين من العين لا تعرفه بألفاظ ، ولـكن بأسرار كلّ أسراره ، يفهمها وحده فيه وحده ؟

والغليلُ المتسعِّرُ في دم العاشق ، كجنون المجنون يختصُّ برأسه وحده

وضمّةُ المحب لحبيبه إحساسٌ لا يُستعار من صدرٍ آخر ، كما لا يستعار المولودُ لبطن لم يحمله

وكلمةُ القبلة التي معناها وضعُ الفم ، لن ينتقلَ إليها ما تذوقه الشفتان

* * *

ويومُ الحب يومٌ ممدود ؛ لا ينتهي في الزمن إلا إذا بدأ يومُ السلوِّ في الزمن

فهل يستطيع الخلقُ أن يصنعوا حداً يفصل بين وقتين لينتهيَ أحدُهما ؟

وهَبْهم صنعوا السُّلوانَ من مادة النصيحة والمنفعة ، ومن ألف برهان وبرهان فكيف لهم بالمستحيل ، وكيف لهم بوضع السلوان في القلب العاشق ؟

وإذا سالتِ النفسُ من رقة الحب ، فبأي مادة تُصنع فيها صلابةُ الحجر ؟

وما هو الحب إلا إظهارُ الجسم الجميل حاملاً للجسم الآخر

وما هو الحب إلا تعلّق النفس بالنفس التي لا يملأها غيرها بالأحساس ؟

وما هو الحب إلا إشراق النور الذي فيه قوة الحياة ، كنور الشمس من الشمس وحدها ؟

وهل في ذهب الدنيا وملك الدنيا ما يشتري الأسرار ، والاحساس ، وذلك النور الحي ؟

فما هو الحب إلا أنه هو الحب ؟

* * *

ما هو هذا السرُّ في الجمال المعشوق ، إلا أن عاشقه يدركه كأنه عقلٌ للعقل ؟

وما هو هذا الادراكُ إلا انحصارُ الشعور في جمال متسلطٍ كأنه قلبٌ للقلب ؟

وما هو الجمالُ المتسلطُ بانسان على إنسان ، إلا ظهور المحبوب كأنه روحٌ للروح ؟

ولـكن ما هو السر في حب المحبوب دون سواه ؟ هنا تقف المسألة وينقطع الجواب

هنا سرٌّ خفيٌّ كسر الوحدانية ، لأنها وحدانية (أنا وأنت)

* * *

ناقشوا الحب ؛ فقالوا أصبحت الدنيا دنيا المادة ، والروحانية اليوم كالعظام الهَرِمة لا تـكتسي اللحمَ العاشق

وقال الحب : لا بل المادة لا قيمة لها في الروح ؛ وهذا القلب لن يتحول إلى يد ولا إلى رجْل

ناقشوا الحب ؛ فقالوا إن العصر عصر الآلات ، والعمل الروحي لا وجود له في الآلة ولا مع الآلة

قال الحب : لا ، يصنع الانسان ما شاء ، ويبقى القلب دائماً كما صنعه الخالق

وقالوا : الضعيفان : الحب والدين ، والقويان : المال والجاه ، فماذا ردّ الحب ؟

جاء بلؤلؤة روحانية في (مسز سمبسون) ؛ ووضع إليها في ميزان المال والجاه أعظم تاج في العالم : تاج ادوارد الثامن « ملك بريطانيا العظمى وإرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وملك — امبراطور الهند »

وتنافست الروحانية والمادية ، فرجع التاج وما فيه إلا ضعف المعنيين من القلب

(١) شغلتنا مقالات (القلب المسكين) عن الكتابة في حادثة (القلب المسكين الأعظم) قلب الملك ادوارد عندما وقعت الحادثة

وأعلن الحب عن نفسه بأحدث اختراع فى الاعلان ، فهز العالم كله هزة صحافية :

الحب . الحب . الحب

* * *

(مسز سمبسون) ، تلك الجميلة بنصف جمال ، المطلقة مرتين .

هذا هو اختيار الحب

ولكنها المشوقة ؛ وكل معشوقة هى عذراء لحبيبها ولو تزوجت مرتين ؛ هذا هو سحر الحب

ولكنها الفاتنة كلّ الفتنة ، والظريفة كلّ الظرف ، والمرأة كل المرأة ؛ هذا هو فعل الحب

ولكنها العقل للأعصاب المجنونة ، والأنس للقلب المستوحش ، والنور فى ظلمة الكآبة ؛ هذا هو حكم الحب

ومن أجلها يقول ملك انجلترا للعالم : « لا أستطيع أن أعيش بدون المرأة التى أحبها » ؛ فهذا هو إعلان الحب .....

* * *

إذا أخذوها عنه أخذوها من دمه ، فذلك معنًى من الذبح .

وإذا انتزعوها انتزعوها من نفسه ، فذلك معنى من القتل .

وهل فى غيرها هى روح اللهفة التى فى قلبه ، فيكون المذهب إلى غيرها ؟

لكأنهم يسألونه أن يموت موتاً فيه حياة

وكأنهم يريدون منه أن يُجنّ جنوناً بعقل ... هذا هو جبروت الحب

* * *

وللسياسة حجج ، وعند (مسز سمبسون) حجج ، وعند الهوى .. التاج ، الملكية ، امرأة مطلّقة ، امرأة من الشعب ، فهذا ما تقوله السياسة

ولكنها امرأةُ قلبه ، تزوجت مرتين ليكون له فيها إمتاعُ ثلاث زوجات ؛ وهذا ما يقوله الحب

واللحظة الناعسة ، والابتسامة النائمة ، والاشارة الحالمة ، وكلمة (سيدى) (١) . هذا ما يقوله الجمال

وانتصر الحب على السياسة ، وأبى الملك أن يكون كالأم الأرملة فى مِلك أولادها الكبار . . .

* * *

(١) لاتخاطب (مسز سمبسون) إدوارد إلا بكلمة (سيدى) ، ولا تتحدث عنه ولا تسميه إلا قالت (سيدى) . ولن يأمر الحب أمره بأبلغ ولا أرق من كلمة العبودية اللطيفة هذه حين تنطق بها المرأة فى صوت قلبها وغريزتها . وقد كان هذا أدب نساء الشرق مع أزواجهن ؛ أما اليوم ...

العرش يقبل رجلا خَلفاً من رجل ؛ فيكون الثانى كالأول

والحب لا يقبل امرأة خلفاً من امرأة ، فإن تكون الثانية كالأولى

وطارت فى العالم هذه الرسالة : «أنا ادوارد الثامن . . أتخلى عن العرش وذريتى من بعدى

« وأعلن الحب عن نفسه بأحدث اختراع فى الاعلان ؛ فهز العالم كله هزةً صحافية . »

الحب . الحب . الحب

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

لجنة التأليف والترجمة والنشر

وحي القلم

للأستاذ

مصطفى صادق الرافعي

صدر الكتاب فى جزءين ٨١٦ صفحة كبيرة بحرف مشكول على ورق فاخر يجمع أبلغ مقالات الأستاذ الرافعى فى أسرار الدين والحياة ومبتكرات الخيال والقصة ، فى بيان كما وصفه سعد باشا زغلول « كأنه تنزيل من التنزيل »

فرصة ثمينــة للطلبة

إجابة لرغبات الكثيرين رأينا تخفيض ثمن الكتاب إلى ثلاثين قرشاً صاغاً غير أجرة البريد لمدة شهر واحد فقط (إلى نصف فبراير) وبعد ذلك يكون الثمن ٤٠ قرشاً

وسيقدم الجزء الثالث من (وحى القلم) للطبع قريباً فى ٥٠٠ صفحة

يطلب الكتاب من إدارة لجنة التأليف والترجمة والنشر ٩ شارع الكرداسى بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة بمصر

ضوء جديد على مأساة شهيرة

هل قتل الحاكم بأمر الله أم اختفى ؟

معترك من الروايات والأساطير المدهشة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

فى ليلة السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١ من الهجرة (١٣ فبراير سنة ١٠٢١ م) خرج الحاكم بأمر الله يطوف كعادته فى شعب المقطم حيث اعتاد أن يرصد النجوم ، ثم لم يعد من جولته قط ، ولم يعرف إنسان خبره أو مصيره قط ؛ وكل ما عثر عليه بعد ذلك من آثاره ، حماره الأشهب وقد وجد معرقباً فى طريق حلوان ، ثم ثيابه مزررة وبها آثار الطعان فى بركة قريبة من حلوان

بيد أن اختفاء الحاكم فى تلك الليلة الشهيرة ، واجتماع مختلف القرائن والآثار على مصرعه بيد الجناة ، لم يكن خاتمة حاسمة لعهده وسيرته وذكراه . أجل أعلنت وفاة الحاكم ، وأقيم ولده أبو الحسن على مكانه فى كرسى الخلافة ، وذلك يوم النحر (١٠ ذى الحجة سنة ٤١١ هـ) لأسابيع قلائل من اختفائه ، ولقب الظاهر لاعزاز دين الله ؛ وبدأت الخلافة الفاطمية عهداً جديداً ؛ ولكن ذكرى الخليفة الذاهب لبثت تغمر الأفق مدى حين ، وتثير فى المجتمع مختلف الفروض والأساطير . ذلك أن أدلة الجناية لم تكن واضحة ، ولم يقم دليل قاطع على القتل أو الوفاة ، ومن جهة أخرى فأن الحاكم بأمر الله لم يكن فيما زعموا شخصية عادية يغمرها العدم كما يغمر سائر البشر ، وتطوى آثارها من ذلك العالم لتغيض فى العالم الآخر بتلك البساطة التى أحاطت باختفائه . ألم يكن الحاكم شخصية خارقة تهيم فى الخفاء ، وتزعم الاتصال بعوالم الغيب ، وترنو إلى مدارك السمو فوق البشر ؟ ألم يقدمه الدعاة السريون إلى الناس بأنه « ناطق الزمان » وأنه آلة وروح حل فى صورة البشر ؟ وهل من كانت هذه خواصه ومزاعمه يسرى عليه قانون الفناء كما يسرى على جميع الناس ؟

لقد أجمع معظم الروايات المعاصرة والمتأخرة على أن الحاكم ذهب ضحية المؤامرة والجريمة على اختلاف بينها فى مدبرى المؤامرة ومرتكبى الجريمة . ومعظمها على أن الذى دبر المؤامرة أخته الأميرة ست الملك ، وذلك لما بدا من إسرافه فى قتل الزعماء ورجال الدولة ، وما ارتكب من التصرفات المنيفة المتناقضة التى هزت أسس المجتمع وقلبت أوضاعه ؛ وأخيراً لما جنح إليه من حماية الدعاة الملاحدة الذين نادوا بألوهيته ؛ فهذه الأسباب حسبما تقول الرواية هى التى حملت أخته على تدبير مصرعه اتقاء لنشوب ثورة تودى بالعرش وبتراث الدولة الفاطمية كله ؛ أما شريك ست الملك ومنفذ الجريمة ، فهو الحسين بن دواس زعيم قبيلة كتامة ، وكان يخشى سطوة الحاكم وفتكه ؛ وأما القتلة فهم عبيده أو هم جماعة من البدو اعترضوا الحاكم فى طريقه ليلة اختفائه بحجة التماس الاحسان والصلة ، ورتبهم المتآمرون لقتله ؛ أما جثته فقد حملها الجناة إلى أخته فدفنتها فى نفس مجلسها : هذا ملخص ما تقوله الرواية فى شأن المؤامرة والجريمة

وهذه الروايات ليست موضوعنا فى هذا البحث ؛ وهى ليست كل شىء فى تلك المأساة العجيبة ؛ وإنما نعنى فى هذا البحث بطائفة أخرى من روايات ذات نوع خاص ودلالة خاصة ، لا تأخذ بنظرية المؤامرة أو الجريمة ، ولكنها تؤيد فكرة الاختفاء العمد والهجرة الأبدية ، وتسبغ بذلك على ذهاب الحاكم لونا من الخفاء الغامض ، كذلك الذى يغمر شخصيته وحياته كلها ؛ وإذا كانت هذه الروايات تجنح فى مجموعها إلى نوع من الأسطورة ، فأنها مع ذلك تدخل فى عداد التاريخ وتستحق الدرس بهذه الصفة ، خصوصاً ، وأن ماتقدمه إلينا من التفاصيل والوقائع ليس فى ذاته مستحيلاً ولا خارقاً

وأول رواية من هذا النوع رواية كنسية كتبت فى عصر الحاكم ذاته ، ووردت ضمن سير البطاركة ، أو سير البيعة المقدسة فى ترجمة الأنبا زخاريا البطرك القبطى المعاصر للحاكم ؛ وخلاصتها ، أن الحاكم خرج الى الجبل ذات ليلة ، وسار فى الجبل ومعه ركابى واحد الى أن بلغ حلوان ، ثم نزل عن حماره ؛ وأمر الركابى أن يعرقبه ففعل ، ثم أمره بالانصراف الى القصر وتركه بمفرده ، فعاد الركابى كما أمر ؛ فلما لم يعد الى القصر فى اليوم التالى سأل رجال القصر هذا الركابى عن سيده ، فأجابهم بأنه تركه فى حلوان ، وعاد وحده نزولاً على رغبته ، فمضوا فى طلبه ، فوجدوا الحمار معرقباً ، وبحثوا عن الحاكم فى كل موضع ،

فلم يجدوه ولم يقفوا له على خبر أو أثر (١)

ووردت فى تاريخ الكنائس المنسوب لأبى صالح الأرمنى ، والذى كتب فى أواخر القرن السادس الهجرى رواية مماثلة نصها : « وبهذه الناحية (أى حلوان) نزل الأمام الحاكم بأمر الله عن الحمار الذى كان راكبه ، وتقدم الى الركابى الذى كان يصحبه إلى حيث يذهب بأن يمرقب الحمار ، وذهب هو وحده إلى داخل البرية ، ولم يرجع يعود ، ولا عرف أين توجه الى يومنا هذا ، وكان ذلك فى شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة » (٢)

ويشير مؤرخ نصرانى آخر ، هو ابن العبرى الذى كتب تاريخه فى أواخر القرن السابع الهجرى إلى مثل هذا الرأى ، فيقول فى حوادث سنة ٤١١ هـ : « وفيها فقد الحاكم بن العزيز ابن المعز العلوى صاحب مصر ، ولم يعرف له خبر » ، ثم ينقل قصة طوافه ومصرعه حسبما رواها القضاعى ، وذلك على سبيل الرواية والترديد فقط (٣)

وتقول الرواية الكنسية أيضا ، « ولم تزل الناس مدة غيبة الحاكم والى أن انقضى مدة ولده يقولون إنه بالحياة . وكثير كانوا يتزيون بزيه ويقول كل واحد منهم أنا الحاكم ، يتراءوا للناس فى الجبال حتى يأخذوا منهم الدنانير » ثم تروى لنا قصة رجل يسمى « شروط » كان نصرانياً وأسلم ثم تعلم السحر والشعوذة ، وكان يشبه الحاكم شبها عجيبا ، ولو أنه أطول منه بقليل ؛ فلما اختفى الحاكم ظهر فى الناس باسم « أبى العرب » ، وادعى أنه الحاكم ، والتف حوله بعض الناس ، وكان يطالب الأغنياء بالمال ، ويقول لهم إنه سيعيده إليهم عند رجعته إلى مملكته ؛ ثم استتر طيلة عهد الظاهر ، وهو مستمر على دعواه حتى اعتقد كثير من الناس أنه الحاكم ، وأنه يخفى نفسه لأمر مكتوم لا يعرفه سواه ؛ وفى أوائل عهد المستنصر ، نزح إلى البحيرة ونزل عند بعض البدو ، وتظاهر بالنبوة ومعرفة الغيب واستمر فى دعواه أنه الحاكم وأنه يعتزل الحياة العامة حتى ينتهى قطع طالعه الذى يخشاه ؛ ولما ذاع أمره ، واهتمت السلطات بمطاردته توارى عن الأنظار ، ولبث مختفياً حتى عرف بأمره سانونيوس البطرك ، وأنفذ اليه مالا وتمهده بعونه ورعايته (١)

وأول ما يلفت النظر فى هذه الرواية الكنسية هو أنها لا تشير أية إشارة إلى فكرة المؤامرة أو الجريمة ، بل لا تشير مطلقاً إلى فكرة الوفاة ، ولكنها تميل فى مجموعها إلى تأييد فكرة الغيبة والاختفاء ، وتستأنس فى ذلك بالاشاعات والأساطير التى ذاعت فى ذلك الشأن منذ اختفاء الحاكم ، واستمرت ذائعة أيام ولده الظاهر

على أن الرواية الكنسية لا تقف عند ذلك الحد ؛ ذلك أن ابن العبرى يحدثنا عن مصير الحاكم بعد اختفائه ، ويقول لنا إن كثيراً من الناس اعتقدوا حين اختفائه أنه لجأ إلى مكان بالصحراء واعتنق النصرانية ، ثم ترهب وقضى أيامه هنالك ؛ ثم يقول إنه ، أى المؤرخ ، حينما كان بدمشق سمع بعض كتاب الأقباط يقولون إن الحاكم حينما اشتد فى مطاردة النصارى ظهر له يسوع المسيح كما ظهر لبولس الرسول ، فآمن به ، وتوارى سراً فى الصحراء حتى توفى (٢)

ومما يجدر ذكره أن هذه الأسطورة — أى أسطورة تنصر الحاكم وترهبه — ليست هى الأولى من نوعها ، فقد نسب جده المعز لدين الله إلى مثل ما نسب اليه ، وزعمت الرواية الكنسية أن المعز تأثر بما شهده من معجزة نصرانية هى تحرك جبل المقطم لدى صلوات الأحبار النصارى وتضرعاتهم ، فنزل عن الخلافة لولده العزيز ، وتنصر وترهب ، ودفن باحدى الكنائس (٣)

ويجب لكى نقدر مغزى هذه الروايات الكنسية أن نذكر الظروف التى نشأت فيها ، وأن نذكر موقف الكنيسة القبطية ونفسية المجتمع النصرانى فى عصر الحاكم بأمر الله : فقد عانت الكنيسة وعانى النصارى فى هذا العصر ضروباً مرهقة من

(١) وردت هذه الرواية الكنسية بتفاصيلها التى أوردناها فى مخطوط كنسى حصلت دار الكتب أخيرا على نسخة فوتوغرافية منه ، ويتضمن كتاب سير الآباء البطاركة تأليف ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين الشهير ؛ ثم فصولا عديدة أخرى تذييلا على كتاب ساويرس فى سير البطاركة أيضا جمت تحت عنوان « سير البيعة المقدسة » ويحفظ هذا المخطوط بدار الكتب برقم ٦٤٣٤ ح

(٢) تاريخ أبى صالح الأرمنى ص ٥٢ ب

(٣) مختصر تاريخ الدول طبعة اكسفورد ص ٣٣٥

(١) المخطوط الكنسى المشار اليه (رقم ٦٤٣٤ ح) لوحة ٩٣

(٢) لم ترد هذه الرواية فى جميع التراجم العربية التى انتهت إلينا من تاريخ ابن العبرى ؛ ولكن الظاهر أنها وردت فى الأصل السريانى . وقد كتب ابن العبرى تاريخه بالسريانية ثم ترجم بعد ذلك ، وأوردها المستشرق دى ساسى فى كتابه عن الدروز

(٣) كتاب الجريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٢٤٨ . وراجع كتابى مصر الاسلامية ص ٧٨ وما بعدها

الاضطهاد المادى والمعنوى ، وجازت الكنيسة شر محنة نزلت بها منذ عصر الاضطهاد الرومانى ؛ فهدمت بيعها وأديارها ، ونهبت أموالها ، وبدد تراثها المقدس ، وثل الأحبار كل هيبة ونفوذ ، وامتحن الكثير منهم ، وعانى المجتمع النصرانى من القوانين والفروض الجديدة شر ما تعانيه أقلية مضطهدة من ضروب العسف والذلة والارهاق ؛ ومن ثم فان الروايات الكنسية المعاصرة تصور لنا هذا العصر ، عصر استشهاد للكنيسة ورعاياها ، وتحدثنا فى مواطن عديدة عن مختلف المعجزات النصرانية التى ظهرت فى هذا العصر ، والتى كانت الكنيسة تستمد منها العزاء والصبر على مغالبة المحنة ؛ ومنها قصة فتى مسلم يسمى ابن رجاء تأثر بمعجزات المسيح فتنصر وترهب ، ورسموه قديساً باسم بولس ولقبوه بالواضح ؛ ومنها قصة أبى نجاح النصرانى ، وكان من أعيانهم وأكابرهم ، فأراد الحاكم أن يرغمه على الاسلام فأبى فأمر بجلده حتى توفى ، وزعمت الأسطورة أن الماء كان يقطر من لحيته أثناء ضربه ، وأن المسيح ظهر له وتولى سقايته أثناء تعذيبه ؛ وقصة الرئيس الفهد الوزير ، فقد قتله الحاكم لأنه أبى الاسلام ، وأمر باحراق جثته ، ولكن النار لم تؤثر فيها ؛ وقصة البطرك زخاريا فقد اعتقله الحاكم وطرحه للسباع لتأكله ولكنها نفرت منه ولم تمسه بأذى [(١)] ؛ وغير ذلك من الخوارق المزعومة التى تدل على روح الكنيسة وعقليتها فى هذا الظرف العصيب ، وعلى جنوحها إلى الاستعانة بسيل من الأساطير والمعجزات الجديدة لتأييد هيبتها المقوضة ، وتقوية نفوس رعاياها والمؤمنين بقدرتها وسلطانها

فهل نعجب إذا كانت الرواية الكنسية تحدثنا عن مصير الحاكم بأمر الله بهذا الروح ذاته ، فتحيط هذا المصير بأسطورة من أساطيرها ، وتضيف بذلك معجزة إلى معجزاتها ؟ إن فى تقديم الحاكم بأمر الله ، الخليفة الفاطمى ، فى ثوب النادم المستنيب ، يبدو له المسيح ، فيرتد عن دينه ويعتنق النصرانية ، ثم يترهب ، ويقضى بقية حياته فى بعض الأديار النصرانية ، لأعظم معجزة تقدمها الكنيسة إلى المؤمنين ، وأعظم ظفر تستطيع أن تصوره لرعاياها فى هداية ذلك الذى أنزل بهم شر البلايا والمحن أعواماً مديدة ، ثم انتهى به المطاف إلى أن غدا جندياً من جند المسيح .

(١) راجع المخطوط الكنسى المشار إليه لوحة ٩١ و ٩٣ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١١٠

إن فى هذه الخاتمة لأعظم عقاب للآثم ، وأعظم ترضية للكنيسة والمؤمنين ، وأبلغ انتقام يمكن أن تنزله الكنيسة بخصيمها

— ٢ —

ولا ريب أن التاريخ لا يمكن أن يحفل بمثل هذه الأسطورة التى لم يؤيدها أى دليل أو أية قرينة سوى الرواية الكنسية التى تنفرد بترديدها ، والتى تنم فى الحال عما وراءها من الغايات والبواعث ؛ بيد أن هنالك فى الرواية الكنسية الأولى شيئاً واحداً يمكن الوقوف به ، وهو ما تنوه به من اختفاء الحاكم أو غيبته دون الاشارة إلى مصرعه بصورة من الصور . ذلك أن هذه النظرية — نظرية الاختفاء — لم تكن دون صدى فى حوادث العصر ووثائقه . وإذا استبعدنا فكرة المؤامرة والجريمة مدى لحظة ، واستبعدنا ما ينسب إلى الأميرة ست الملك من أنها هى التى دبرت مصرع أخيها على الوجه الذى بسطنا ، فان الحوادث والقرائن الأولى التى عقبت ليلة السابع والعشرين من شوال تسبغ على فكرة الاختفاء مسحة من الاحتمال . ذلك أن مصرع الحاكم أو وفاته لم تكن أول ما خطر لرجال القصر والدولة ، بل كان أول ما خطر لهم فكرة الغيبة ، فخرجوا فى أثر الحاكم عدة مرات يبحثون عنه ويستقصون أثره قبل أن يؤمنوا بمصرعه ؛ ولبث الكرسى الخلافى شاغراً مدى ستة أسابيع حتى يوم عيد النحر (العاشر من ذى الحجة) ، ولم يناد بالخليفة الجديد حتى استقر لدى رجال الدولة أن الحاكم قد لقى حتفه بصورة من الصور أو على الأقل قد ذهب إلى غير ما عودة : بيد أن فكرة مصرعه ، مهما كانت الصورة التى صورت بها ، ومهما كان الجناة الذين نسب تدبيرها أو تنفيذها إليهم ، لم تكن فيما يبدو من روايات العصر وأحاديثه ، حقيقة مقررة ، ولم تكن رأى السواد الأعظم من الناس . بل لقد أشارت بعض الروايات التى سلمت بمصرع الحاكم إلى صدى هذا الشك فى مقتله ، فنرى ابن خلكان مثلاً يقول فى ترجمة الظاهر ولد الحاكم ما يأتى : « وكانت ولايته بعد أبيه بمدة ، لأن أباه فقد فى السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ؛ وكان الناس يرجون ظهوره ، ويتبعون آثاره إلى أن يحققوا عدمه ، فأقاموا ولده المذكور فى يوم النحر » [(١)]

(النقل ممنوع — للبحث بقية) محمد عبد الله عنان

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٦٣

في الأدب المقارن

التأثير في الآداب الأخرى

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخري أبو السعود

من أقوى الدلائل على حيوية أدب أمة وصدق ترجمته عن المشاعر الانسانية احتفاء الأمم الأخرى به ، وعنايتها بدرسه ، وتأثرها بنتاجه ، واصطناعها وسائله ، واشتهار فحوله بينها ؛ فان الأدب إذا كان حياً صادق التعبير عن النفس الانسانية ، عميق النظرة في مشاهد الكون ، تخطى حدود أمته واجتاز حوائل اللغة والتقاليد والجنسية والبيئة ؛ تخطى ذلك إلى ساحة الانسانية التي تمحى عندها فوارق الزمان والمكان ، ويلتقي لديها أبناء الأمم المختلفة والأزمان المتباعدة ، وتمجد العبقرية الفنية حيثما نبتت

فحيوية الأدب وصدقه شرط أساسي لذيوعه وتأثر الآداب الأخرى به . وقد تجتمع إلى قوة الأدب الفنية الخالصة قوة أصحابه الحربية وسلطانهم السياسي ، فيكون ذلك عاملاً كبيراً مؤدياً إلى انتشار الأدب ؛ على أنه عامل إضافي لا يضير انعدامه . فالأدب واللغة هنا على طرفي نقيض : فلغة الأمة لا تذيع في الأمم الأخرى إلا تبعاً لارتفاع سلطانها السياسي ، مهما كان رقي اللغة ذاتها وصلاحيتها وتفوقها على اللغات الأخرى ، أو تخلفها عنها ؛ فلغات الرومان والعرب ، ثم الفرنسيين والانجليز ، لم تذع وتتخذ صبغة عالمية إلا مصاحبة لامتداد نفوذ تلك الأمم ؛ أما الأدب فلا يذيع إلا لرقيه وصلاحيته وتفوقه في بعض النواحي ، سواء أساعده النفوذ السياسي أم أعوزه ؛ ذلك لأن اللغة وسيلة ضرورية من وسائل التعامل ، فلا بد من الالمام بلغة الأمة ذات الشأن العظيم في الحياة الدولية والاقتصادية ؛ أما الأدب فهو متعة وجدانية كمالية ، تقبل النفس منه ما وافق طبعها وترفض مالا تستسيغه ، ولو كان يمت إلى أوسع الأمم سلطاناً وأضخمها جيشاً

والأدب الاغريقي نسيج وحده في هذا الباب ، وهو مصداق كل ماتقدم ذكره ، ولم يؤثر أدب تأثيره في آداب الأمم ، ولا نال مثل ما نال من احتفالها : فهو أدب حي راق صادق ، ذاع في عهد سطوة أصحابه وفي عهد اضمحلالهم ، بل أثر في غالبيهم في ميدان الحرب والسياسة — الرومان — أبعد تأثير ؛ ثم عاد فبعث من مكمنه فأثر في نشأة الآداب الأوربية الحديثة ، بل على يديه درجت ، وفي حجره شبت ؛ وما زالت دراسته أحد فروع الثقافة العالية في الجامعات الأوربية ؛ ومن أجل دراسته والاستفادة من كنوزه تدرس اللغة الاغريقية على بعد ما بينها وبين اللغات الحديثة . أما اللغة ذاتها فتقلص ظلها منذ تقلص ظل السيادة اليونانية التي أظلت حوض البحر الأبيض الشرقي على عهد أثينا والاسكندر والبطالسة ، ودرست اللغة وبطل التخاطب بها حتى في بلاد اليونان ذاتها

وتتراوح درجة تأثير أدب أمة في آداب غيرها تبعاً لحالة المؤثر والمتأثر : فيكون الأثر شاملاً غامراً إذا كانت الهوة بينهما بعيدة ، بأن كان الأول عظيم الرقي والآخر بدائياً ساذجاً ، كما كان تأثير الأدب اليوناني في الأدب الروماني والآداب الأوربية الحديثة ، وكما كانت منزلة الأدب الفرنسي من الأدب الألماني في أوائل القرن الثامن عشر ؛ وقد يكون أثر أدب في غيره قاصراً على ناحية يتفوق فيها أو يمتاز بها ، كما كان تأثير قصة المغامرات الاسبانية في الأدب الانجليزي ، أو تأثير القصة الروسية في الآداب الأوربية العصرية ؛ وقد تحتفي أمة بدراسة أدب أمة أخرى إعجاباً به وتقديراً له ، دون أن يتأثر به أدبها تأثراً كبيراً ؛ وأغلب ما يكون ذلك إذا تماثل الأدبان في الرقي ، كما هي الحال بين كثير من الآداب الأوربية الحديثة التي قطعت مراحل متماثلة ، ووصلت إلى درجات من الرقي متقاربة ؛ وقد يتناكر أدبان ويتنابذان فلا يتأثر أحدهما بالآخر ، لشدة ما بينهما من تفاوت ، أو لاعتداد كل منهما بنفسه ، كما كان من ازورار الأدب العربي عن الأدب اليوناني ؛ وقد يدرس الأدب في المعاهد وعلى أيدي العلماء والأدباء لمجرد البحث العلمي والتأريخ ، دون أن يكون له كبير أثر في آداب الأمم ، أو يكون لجمهور المتأدبين بصر به ، كما يدرس الأدب العربي في بعض الجامعات الأوربية اليوم

وكلا الأدبين العربي والانجليزي أثر في آداب الأمم الأجنبية ،

وبلغ من الرق والخطر ما جعله جديراً باحتفائها ، واشتهر فحوله وأعلامه بينها ، وساهم بنصيب فى الأدب الانسانى العالمى . على أن الأدب العربى أعطى أكثر مما أخذ ، وأثر فى آداب الأمم الأجنبية أكثر مما تأثر بها ، بينما الأدب الانجليزى قد أخذ أكثر مما أعطى إلى اليوم ، وغنم من كنوز الأمم الأخرى أكثر جداً مما أودع تلك الكنوز ؛ وهذه فى الحقيقة ظاهرة مطردة فى تاريخى الأمتين لا فى أدبيهما فقط . كانت الأمة العربية منذ ظهورها أمة إعطاء ، أعطت العالم ديناً وقوانين ولغة وأدباً ، ولم تأخذ إلا ما يتضاءل أمام ذلك كله من حضارة الفرس المادية ، ونظريات اليونان الفلسفية . وكانت الأمة الانجليزية أمة أخذ ، أخذت عن غيرها دينها ، وألفت من لغاتهم لغتها ، واشتقت من آدابهم أساليب أدبها وأشكاله ، وأغنت جزيرتها بخيرات الأقطار ، ولم تهد إلى العالم من مبتكراتها إلا نظامها النيابى . وعلى حين انزوت جزيرة العرب قابعة فى عزلتها بعد أداء رسالتها ، أثرت انجلترا بما قطفت من أطايب العالم المادية والأدبية التى اجتنتها على مدى العصور اجتناءَ مميز بصير خبير بما ينفع ، نابذ لما يذهب جُفاء

أثر الأدب العربى فى آداب كثير من الأمم الشرقية ، كالهنود والفرس والترك واليهود ؛ وما يزال ذلك التأثير ماثلاً فى الألفاظ والأساليب التى اقتبستها منه تلك الآداب ؛ وقد أدى إلى اتصال تلك الآداب بالأدب العربى اتصال العرب بتلك الأمم بالحرب والتجارة ، وبسط العرب سيادتهم عليهم حيناً ، ونشرهم دينهم بينهم ، فكانت سيادة العرب سبب انتشار اللغة العربية التى ظلت تدرس فى تلك الأقطار عصوراً طوالاً ، ولم تزل تدرس فى بعضها ؛ وكان انتشار الدين الاسلامى عاملاً آخر أطول بقاء ؛ فلما انتقلت السيادة إلى الفرس فالترك ضعفت مكانة اللغة العربية ، بينما ظل التفوق والتأثير للأدب العربى حيناً طويلاً لرقيه وتأخر الآداب الأخرى

ولم يَسمُ من تلك الآداب الشرقية إلى مضاهاة الأدب العربى إلا أدب الفرس . وقد كان بين هذين الأدبين وفحولهما تمازج واتصال وتعارُض وتبادل عديم النظير بين أدبين آخرين : بدأ ذلك بانتصار العرب الحربى والدينى ، وكان أدبهم على جانب عظيم من التقدم ، بينما أدب الفرس بدائى لم يتعد بعدُ طور الطفولة ، ولم يستقل تماماً عن الدين ، لأنه — كأدب قدماء المصريين — ترعرع تحت ملكية شديدة الجبروت والأنانية ، وكهنوتية شديدة الغيرة والأثرة ، فلم يكن يعدو الأقاصيص الساذجة والمواعظ ونوادر الملوك والآلهة ؛ أما الأدب العربى فكان قد ترعرع فى حرية البادية

فلما اتصل الفرس بالأدب العربى وأعجبوا به ، لم ينقلوا ماراعهم منه إلى أدبهم بل انتقلوا هم إليه ، فنثروا ونظموا فى لغة الدولة والدين والقرآن ، وكان منهم جملة من فحول الأدب العربى ، على حين كان أدبهم هم خالياً من الفحول على الاطلاق ؛ ثم نشأت طبقة منهم كانت تؤلف باللغتين وتساهم فى الأدبين ، وبذلك بدأ الأدب الفارسى فى الظهور وكان الشعر أسبق من النثر ؛ فلما استقلت فارس واستعادت سيادتها القومية فى ظل السامانيين والبويهيين ومن بعدهم ، نبغ فيهم رهط كبير من الشعراء والكتاب عكفوا على إحياء أدبهم وإثرائه ، متأثرين خُطى الأدب العربى فى المواضيع والأشكال الأدبية والأوزان الشعرية والألفاظ ، وأخذوا عن العربية ما كان قد داخلها إذ ذاك من محسنات وصنعة ؛ وبينما دخل الأدب العربى فى طور ركوده افتتح الأدب الفارسى عصر رقى رائع طويل ، ضارع فيه الأدب العربى وفاقه فى كثير من الأبواب ، كشعر الملاحم ووصف محاسن الطبيعة ، ونال بعض فحوله كالفردوسى والخيام من الشهرة العالمية ما قصر عنه فحولة العربية

وكان للأدب العربى أثر كبير فى آداب الأمم الغربية ؛ ولكن بينما تأثرت الآداب الشرقية بالأدب العربى الفصيح ، كان الأدب العربى العامى هو الذى أثر فى الآداب الغربية : فالأقاصيص الشعبية وضروب الأزجال التى فشت فى الأندلس كانت نواة الأدب الاسبانى الحديث الذى تمثل فى عهد النهضة الأوربية فى قصص سرفانتيس ، والذى أثر فى الأدبين الفرنسى والانجليزى أثراً مذكوراً فيما بعد ؛ وتلك الأقاصيص والأزجال انتقلت من أسبانيا إلى جنوب فرنسا ، حيث نشأ شعراء التروبادور الذين وضعوا اللبنة الأولى فى أساس الشعر الفرنسى الحديث . أضف إلى ذلك ما نقل من تلك الأشياء الى الأدب

الايطالى وأثر فى كتابات بوكاشيو وبترارك ودانتى ، وما تسرب الى الأمم الأوربية فى عهد الحروب الصليبية . هـذا إلى قصص ألف ليلة وليلة التى انتقلت إلى أوربا من عهد بعيد وترجمت الى لغاتها ، وكانت موضع اعجاب الأدباء واقتباسهم

وللأدب العربى أثر ثالث عظيم الخطر عديم النظير ، لم يتأت حتى للأدب اليونانى أن يأتى بمثله : ذلك هو حلوله محل غيره فى الشام والعراق ومصر وشمال أفريقية ، حتى نسى أهل كل قطر من هاتيك ما كان له من أدب قبل ذلك ، وأصبح تاريخ الأدب فى كل أقليم منها يبدأ بعهد الجاهلية فى جزيرة العرب . والواقع أن الأدب العربى لم يَسُدْ تلك البقاع لمجرد قوته وحيويته ، وإنما تمكن من الأتيان بتلك المعجزة بفضل ما صاحَبه من ظروف وعوامل ، كقوة اللغة العربية ذاتها وكونها لغـة الدين الجديد والدولة ، ثم السياسة الحكيمة التى سلكها العرب فى حكم الأقطار : فقد تركوا لها حرية العبادة والمعيشة ، وأشعروها مع ذلك بالنقص وانحطاط منزلتها عن منزلة الفاتحين أصحاب الدين والدولة ؛ فتسامحهم الدينى لم يستفز تلك الأمم الى مقاومة الدين الجديد ومعاندته ، كما قد كان يستفزها القهر والأرغام على اتباعه ؛ وشعورها الباطن بالنقص والانحطاط دفعها إلى التشبه بالقائمين بالأمر عليها والانغمار فى جملتهم ؛ ومن ثم انتشر الدين واللغـة وحلا محل غيرهما ، وانتشر بانتشارهما الأدب العربى

فالأحوال كانت مهيأة فى الشرق مساعدة لانتشار الأدب العربى : لتفوقه وتفوق لغته على ما كان هناك من آداب ولغات ، وانتشار دين قومه وسيادتهم ، ومشابهة الأمم الشرقيـة للعرب فى الطباع إلى مدى ، وامتزاجها بهم فى أطراف الامبراطورية العربية . أما فى الغرب فلم يكن الأدب العربى الفصيح ليُلاقى مثل هذا النجاح ، بل هو لم يلاق نجاحا ما ، ولم يصب إعجاباً قط ؛ وقد هرع اليه متأدبو الافرنج غير مرة يريدون الانتهال من مورده ، وارتدوا خائبين قانطين ؛ وبينما وجدوا فى الأدب الفارسى ما يترجمونه ويضنون به ضنهم بآثار آدابهم ، لم يجدوا فى مدائح المتنبى لسيف الدولة وأهاجيبـه لكافور ، وتفنن بديع الزمان فى صوغ الأسجاع والنكات على لسان أبى الفتح ، ما يستحق عناء الدرس والترجمة ، أو يحث على الاعجاب والضن .

إنما تنقل الأمم من آداب غيرها ما يمت إلى الانسانيـة فى شتى بقاعها وعصورها بأوثق الأسباب ؛ أما المدح والذم والزخارف اللفظية التى إذا ترجمت تبخرت فلا تنفق فى غير لغتها وعصرها

ولقد كانت الآداب الغربية قبل عهد النهضة ناشئة تتلفت باحثة عن الأستاذ المرشد ، فلم تره فى الأدب العربى الفصيح ، لأنه لم يكن أدب شعب ومجتمع وحياة متجددة ، بل اختار لنفسه أن يكون أدب بلاط ، ونديم عِلْية ، ورهين تقاليد لا تتغير ، واستبعد من حظيرته مناحى كثيرة من مناحى القول ، ومواضيع شتى من صميم الحياة والفن ؛ وإنما استفادت تلك الآداب بما وجدته فى الأدب العربى العامى من آثار الخيال الرائع ، والتصوير الصادق ، والتعبير المتعدد الأشكال عن الحياة الانسانية المتدفعة المتجددة ، فضلاً عما ينسم منه من روائح الشرق وبذخه وكنوزه وغرائبه ، تلك التى ما زالت من قديم تستهوى نفوس الغربيين وتثير أخيلتهم ، فأوسع الأوربيون ذلك الأدب العامى دراسـة وترجمة ومحاكاة ، ثم لم يلبثوا أن اهتدوا إلى ضالتهم المنشودة فى الأدب اليونانى ، فملئوا من معينه ونهلوا

وقد قيل إن كوميدية دانتى الالـهية متأثرة برسالة الغفران ، وقصة رينسون كروزو أوحت بها قصة حى بن يقظان ، وذلك بعيد : فلو أن الآداب الأوربية كانت تتأثر بالأدب العربى الفصيح لـما اقتصر تأثرها على هذين المثالين الشاردين — على كون قصـة حى بن يقظان أثراً فلسفياً لا أدبياً — وليس بين الكوميدية الالـهية وبين رسالة الغفران شـبه سوى أن الجنة والنار مشاهدُ وقائعهما ، ولا بين روبنسون كروزو وحى بن يقظان تماثلٌ إلا انعزالهما فى جزيرة ، وتوفيرهما حاجاتهما بأنفسهما ؛ وكلتا الفكرتين بديهيتان يلوح أنهما تطرآن على الفكر الانسانى فى شتى العصور والأصقاع . وهل شىء أكثر بداهة وأقرب إلى الطبيعة من أن دانتى المتعصب الدينى فى عصر التعصب الدينى وفى وطن البابوية يلتفت الى العالم الآخر ويُجرى فيه حوادث مهزلته ؟ أو أن ديفو المغامر الأفاق فى عصر المغامرات البحرية ، وفى انجلترا البلد البحرى يتخذ بطلاً لقصته مخاطراً بحاراً ؟

أما الأدب الانجليزى فكان — كما تقدم — أقل من الأدب العربى تأثيرا فى الآداب الأجنبية ، وأكثر منه تأثراً بها : تأثر

من عهد النهضة بالأدب اليونانى والرومانى والفرنسى والايطالى والأسبانى ثم الألمانى ، وأخذ خير ما فى تلك الآداب من الأشكال الأدبية والمواضيع والأساليب ، وصاغها على النحو الملائم لطبائع أهله وعبقرياتهم الخاصة ، ومثّل كل ما أخذ ونقّاه ، حتى جاء الأدب الانجليزى مضاهياً لأحسن ما فى تلك الآداب إن لم يفقها جميعاً عمق فكرة وشمول نظرة وحرارة شعور وصدق عاطفة وبساطة بيان ، ونبغ فيه من الأعلام أمثال شكسبير وملتون وبيرون وسكوت مَن كان لهم مكان رفيع فى القارة ، وعنى بدراستهم ، والاشادة بفضلهم أقطاب الآداب الأوربية ، أمثال هوجو وتين وسنت بيف ، وحوكيت قصائد بيرون وقصص سكوت ، ومُثلت روايات شكسبير فى مسارح العواصم الأوربية ، وساهمت انجلترا بنصيبها فى النهضة الرومانسية التى كانت حركة أدبية دولية ساهمت فيها سائر الآداب الأوربية والأمريكية

على أن كل ذلك لا يكاد يتخطى حدود التقدير والاعجاب بذلك الأدب ، ولم يتمد ذلك إلى إحداث ثورة شاملة أو تطور خطير فى تلك الآداب ، ولم يؤثر الأدب الانجليزى فيها بعض ما أثرت هى فيه ، فهو قد جاء متأخراً عنها قليلاً ولحق بها فتشابه الجميع اليوم رقيا ، فهى فى غنى عن الأخذ عنه ، وهو لا يفاجئها بعناصر ليست فيها ، وهو وهى سواء فى الأخذ من الأدب اليونانى والبناء على أساسه واعتناق مبادئه التى دان بها فى تصوير الحياة وتحليل النفوس وعبادة الجمال

فالآداب الأوروبية اليوم ، بما فيها الأدب الانجليزى ، فرسا حلبة واحدة ، متشابهة فى النشأة والتاريخ والمنهج ، وهى وإن كانت على اتصال وامتزاج دائبين ، لن ينتظر أن يكون تأثير واحد منها فى غيره تأثيراً بعيد المدى شاملاً غامراً ، كما كان تأثير الأدب اليونانى فى الأدب الرومانى ، أو تأثير الأدب العربى فى الأدب الفارسى ، فمِثلُ هذا التأثير الشامل لا يكون إلا بين أدبين قد انفرجت بينهما مسافة الخلف ، وضرب حجاب العزلة بينهما دهراً ، كما هو الشأن اليوم بين الآداب الغربية فى مجموعها — ومن بينها الأدب الانجليزى — والآداب الشرقية فى مجموعها — ومن بينها الأدب العربى — فقد كان التدابر والتناكر سائدين بينهما عصوراً طويلة ، والأولى فى رقى مطرد ، والثانية فى تدهور مستمر ؛ فلما تلاقتا ورفع من بينهما حجاب العزلة أثرت الأولى فى الثانية ؛ وما تزال تؤثر تأثيراً هو أدنى إلى الثورة المطلقة أو الخلق من جديد

فالأدب الانجليزى قد بلغ من الرقى وصدق الرسالة واتساع الجوانب ما يبذ به الأدب العربى ، ونال من المكانة بين آداب الأمم أسماها ، وحاز من أدباء تلك الأمم أعظم التقدير والحفاوة ، وهى مكانة ستظل له دائما كما ظلت مكانة الأدب اليونانى بعد زوال دولته ، وهو خليق أن يؤثر فى آداب الأمم التالية أثراً بعيداً ؛ أما إذا ووزن بين تأثيره فى الآداب الأخرى الى اليوم وبين تأثير الأدب العربى فى الآداب المعاصرة له ، فان الأدب العربى يرجحُهُ كثيراً . بيد أن الأدب العربى قد أدى رسالته فى ذلك الصدد ولم يعد صالحاً لأن يؤثر فى آداب الأمم الأخرى حتى يتجدد ويتأثر هو ذاته بغيره من الآداب ، ويفتتح فى تاريخه فصلاً جديداً غير الفصل السالف

فخرى أبو السعود

رسالة المنبر
الى الشرق العربى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

خطب وأبحاث وقصائد ترمى إلى تعزيز الرابطة العربية
وإقامة حضارتها وإصلاح أسرتها
فصول عن فلسفة جبران خليل جبران وحياته
ورد على كتاب الأستاذ نعيمة فيه

يقع الكتاب فى ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو مصدر بمقدمة من قلم الأستاذ الكبير عميد الرابطة العربية محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ ، وبكلمات الأعلام المغفور له محمد رشيد رضا ، والشيخ عبد الوهاب النجار ، ومصطفى صادق الرافعى

على أطلال الماضي

وقفة على «إيوان كسرى»

للأستاذ علي الطنطاوي

خرجنا من بغداد فسلكنا على « حيّ البتاويين » ظاهر « الباب الشرقي » ، وجزنا على قصوره الشمّ التي تتكئ فيها الارستقراطية الناعمة على الأرائك سكرى بخمرة الذهب ، وسرنا الى « الهنيدي » في الطريق التي تنام على بسط الحقول السندسية ، يحرسها صفّان من النخيل ، حتى انتهينا الى « المعسكر البريطاني » صرح أكاسرة اليوم ، فتركناه وأممنا صرح أكاسرة الأمس لنقف عليه ذاكرين معتبرين

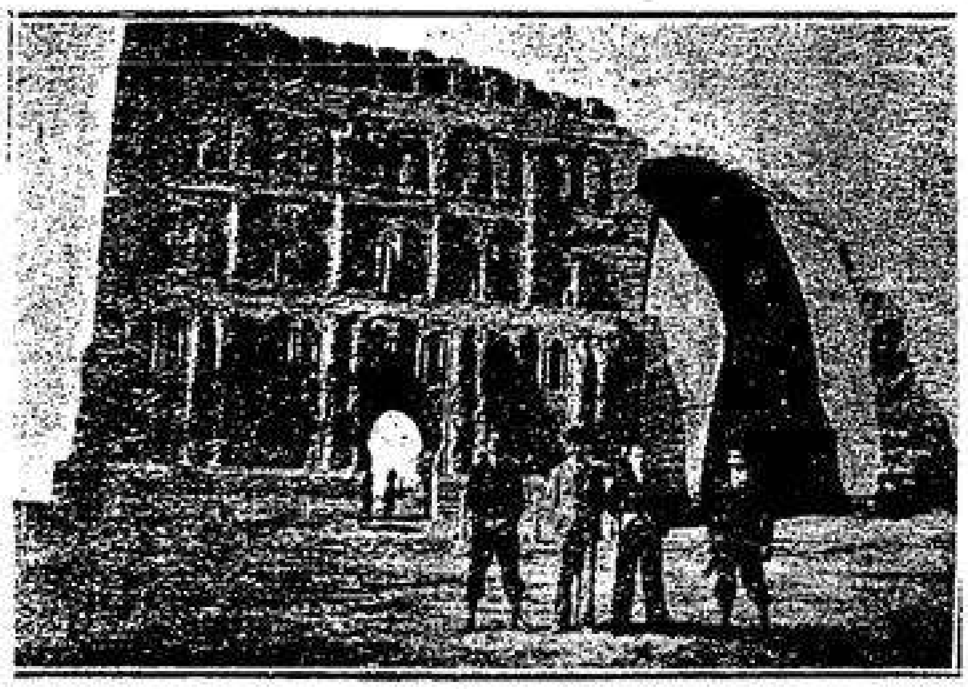
عبرنا نهر « ديالى » وخلفنا القرية جاثمة على كتف النهر ، قد دلّت رجليها في مائه ، واستقبلنا الفلاة الواسعة ، فما عدنا نرى إلا الفضاء ؛ حتى إذا سرنا فيها ساعتين طلعت علينا قرية « سلمان » تلوح على حاشية الأفق ، تضِحُ وتغيب ، ثم تبيّناها ورأينا قبة مسجدها واضحة ، ورأينا بجنبها بناء ضخما كأنه جبل ... فقلت : ما هذا ؟ قال صحبي : هذه قبة سلمان الفارسي ، وهذا إيوان كسرى . فقلت : ياللعجب ! أطاف سلمان حتى استقر قبره بجانب الايوان ، فغدوا متلاصقين ، وبدوا متعانقين ؟ وحثثنا « الدرّاجات » الى القرية فبلغناها بعد ساعة

كانت قرية صغيرة ، نشأت على تربة سلمان رضي الله عنه ، ليس فيها — إلا مسجده — شيء يذكر ؛ أما الايوان فهو في ظاهر البلد ، متربع على ظهر الفلاة وحيد معتزل ، مطرق حزين !

* * *

وقفنا عليه فاذا هو (طاق) عالٍ متهدم ، وجدار شامخ متصدّع ، وإذا هو ضخم فخم ، ولكنه عار موحش ، ليس فيه صورة ولا نقش : لا صورة انطاكية التي تروع بين روم وفرس ، ولا أنوشروان الذي يزجي الصفوف تحت الدرفس ، ولا عراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس ، من مشيح يهوى بعامل رمح ، ومليح من السنان بترس . . .

لقد محا الدهر الصورة ، كما محا أهلها ، ودار الزمان دورة أخرى ، فأصبح حاضر البحتري ماضياً وعيانه أثراً . . ذلك لأن الماضي نقطة واحدة ، تتلاقى فيها الأبعاد ، وتضيع المسافات ، وتفنى الدهور . . . نقرأ قصيدة البحتري ، ونرى الايوان ، فنحس أنهما قد التقيا في عالم الماضي وضاع ما كان بينهما من عصور ، كما التقت آثار « سرّ من رأى » بأطلال بابل ،



(المنظر الأمامي للطاق وللجدار)

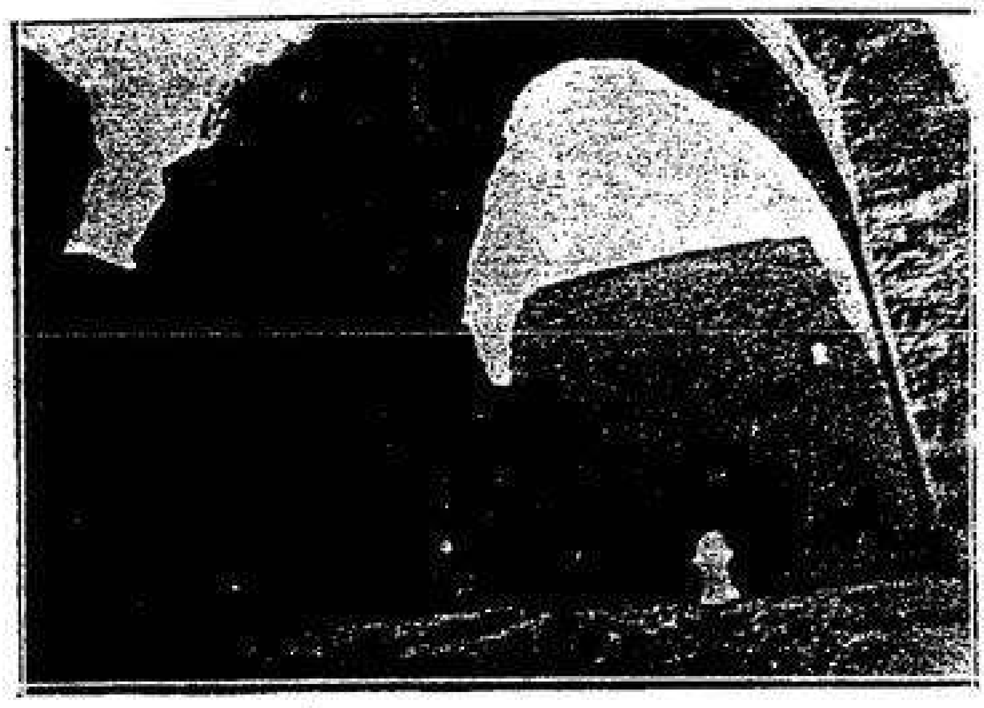
فكان حكمهما في الخيال واحداً وأثرهما في النفس واحداً ، وكما التقت في أبصارنا ونحن قادمون على القرية قبة سلمان بالايوان ... ومن لعمري يدرك الزمن الذي كان بين آدم ونوح ، وابراهيم وموسى ، وبلقيس والزباء ، وهوميروس وأفلاطون ، وحروب طروادة وفتوح اسكندر ؟ إن الحوادث كلما أمعنت في المضيّ ، ضاعت من بينها الأزمنة وامّحت الأبعاد

* * *

وليس يهيج النفس ويثيرها كرؤية أطلال الماضي والوقوف بآثار الغابرين ؛ ففيها روعة البقاء ، وهول الفناء ، وعبرة الدهر ؛ وهي نوافذ تطلّ منها النفس على عالم المجهول الذي تحنّ اليه أبداً ولا تني تقرع بابه ، فتتحرر فيها ساعة من قيود المادة ، وتطير في مسارب الأحلام

ولقد وقفت على الاهرام ، ومررت على الحديبية ، وجلست في العقيق ، وعرّجت على حطّين ، وزرت بعلبك ، فكان شعوري في ذلك كله كشعور اليوم وأنا في المدائن أمام إيوان كسرى ... أستعظم الأثر وأعجب بجلاله ، وأكبر القدرة التي أنشأته ، ثم أعود بفكري إلى الماضي فأحس بأن صفحته تفتح أمامي فأرى حقيقة شاهدة كل ما قرأت في الكتب ، وأتخيل أني مع الغابرين أسمع وأرى ، فأراني قد عشت دهوراً ؛ ثم أقابل

وأعتبر ، ثم أذهل عن نفسي ، وأجول بفكري وخيالي في آفاق كثيرة لم أرها من قبل



(منظر الطاق من داخله والجدار الخلفي القصير وفيه أحد الأبواب الثلاثة الباقية)

في الآثار الباقية للأمم الماضية يلتقي أعظم شيئين وأجلهما : الزمان والمكان ؛ فتلمس القرون تنحدر على صخر الهرم ، أو أعمدة بعلبك ، أو آجر الايوان ، هذا الآجر الذي حمل أعباء القرون السبعة عشر . يالروعته وجلاله ! إني لأحتقر نفسي وأنا قائم بقامتي القصيرة الهزيلة حيال هذا الكائن الجبار الهائل ، ثم أعود فأرى كل شيء دوني حقيراً ، أنا الحيّ ، وأنا الباني ، وما هذه كلها إلا أثر من آثاري ، ليس لها لولا فكري وجود ولا لوجودها معنى ...

***

أطفت بالايوان في خشوع وإكبار ، ووقفت على بابه في هيبة وإجلال ، ثم دخلت من الصحراء فاذا ... فاذا أنا خرجت إلى الصحراء ، الصحراء الصامتة صمت الموت ، الموحشة وحشة المقبرة ، الممتدة امتداد الزمان ... وقفت أستنشق عبير المجد ، وأتسمّع نشيد العظمة ؛ فما سمعت إلا صفير الرياح ، ولا نشقت إلا رطوبة الفناء . لمست الجدار فما أحسست إلا برودة الحجر ؛ تسلقت الجدار حتى كلّت رجلاي ولم أبلغ نصفه ، فجلست على لبنة بارزة لأستريح ، وتلفّت ... فاذا الأفق الواسع الرحيب وإذا الناس كالنمل ، وإذا القرية كأنها كومة من الحجارة ، مكومة في أعماق الوادي ، وإذا دجلة تجري بعيداً تلبس حلة من نور الشمس فتبدو لامعة تزيغ منها الأبصار ، وإذا أنا وحدي معلق بين السماء والأرض ، ففتشت نفسي ، وأخذني الدُّوار ، وهممت بالسقوط ، فأغمضت عينيّ كيلا أرى شيئا

أغمضت عينيّ ، وفتحت قلبي ، فرأت البصيرة ما لا يراه البصر : رأيت أني قد ذهبت أتخطى أعناق القرون وأطوي سجل الزمان ، وأدير بفكري دولاب الفلك ، فيكرّ راجعاً . . ازّخرفت هذه الجدران العارية وأخذت زينتها ، وعادت هذه الأبواب ، فأسدلت عليها سُتُر الوشي والديباج ، وتحلّت هذه السقوف بالصور والنقوش وتدلت منها سلاسل الذهب ، تحمل الثريات المرصّعة باللؤلؤ . . . عاش الايوان ، وقام في صدره سرير أنو شروان ، ورجع المجد وعاد السلطان

وحلّت الحياة في هذه الصحراء ، فنبعت المدائن والقصور من الأرض نبعاً ، ونبتت منها نباتاً ، فنمت في لحظة وأورقت ، وعلت واستطالت ، ولوّنت الحياةُ هذه البرية الكالحة بألوان الزهر ، فعادت حدائق وبساتين ، كانت لهذه المدائن كالاطار ، فرأيتها أعظم المدن ، وقصورها أفخم القصور ، والايوان أجلّ صروحها وأعلى ذراها ، ورأيت هذه الأبواب التي كانت منذ ساعة تفضي من الصحراء إلى الصحراء ، مفتّحة للرياح والذئاب ... قد قامت عليها الحجاب ، ووقفت دونها الملوك ، وحل على أعتابها المجد ، والجدران التي كانت عارية مصدّعة ، قد شمخت وبذت وعزّت ، حتى غدت والطير تخشى أن تطير فوقها ، أو تحوّم في سمائها ، ورأيت دجلة التي كانت منذ ساعة تجري في البادية بعيدة عن الايوان ، معرضة عنه ، لا تلتفت إليه ، ولا تأبه له ، قد غدت ساقية . . . تمشي خاضعة وسط المدائن ، وتنحني لتعقد على كتفيها القناطر والجسور ، وتفتح صدرها لتضم ظلال هذه القصور ، وهي تستنقع فيها في أمسيات الصيف الحارة !

ورنوت بعيني إلى هناك ، إلى الحيرة ، فاذا الخورنق السامق يعنو للايوان كما يعنو صاحبه لربه ؛ ورميت ببصري إلى بعيد . إلى الجزيرة ، فاذا فيها أشباح تجيء وتروح خلال الضباب ، تموج كأنها في بحر واسع ، وكأن خيامها سفائن يحملها الموج ، ويمشي بها مد وجزر ، ولكن هذه الأمواج تتكسر على صخرة الايوان ثم ترقد ضعيفة وانية ، والايوان مشمخر عات ، لا ملك أعظم من ملكه ، ولا سلطان أعظم من سلطانه ، ولا إنسان أعز من ربه ؛ وأمتد ببصري إلى المشرق والمغرب فلا أرى كالايوان ثروة وجاها وعظمة ومجداً ...

ولـكن ... مه ! إن فى البادية لشيئاً جديداً ؛ إنها تضطرب وتهتز ؛ إن فيافيها تتمخض بالحياة ، ها هوذا النور يشق الضباب الـكثيف ، حتى يلمع كالبرق الخاطف ، بين قصور المدائن وتحت أقبية الايوان ... لقد ضرب محمد (صلى الله عليه وسلم) صخرة الخندق ، فأضاءت المعجزة الايوان ، فوعده أتباعه وقال لهم : هذا الطريق

ياللعجب العجاب ! إن هـذه القرية الملتفة فى ألحفة الرمل ، النائمة على صخور الحرة ، المتوسدة سفح أحد ، وجوانب سلع ، تريد أن تأكل المدائن ! . . بلغ كسرى الخبر ، فضحك حتى استلقى ... ثم جاء كسرى الـكتاب ، فعبس وبسر ، وأعرض واستكبر ، ومزق كسرى كتاب سيد العالم ...

لقد نطق سيد العالم بالحـكم النافذ : ليمزقن الله ملك كسرى

***

وفتحت عينىّ فاذا الحلم قد تصرم ، فغاضت المدائن فى الأرض ونزعت الجدران ثيابها ، وابتلعت الصحراء زهرها وورودها ، وعادت قاحلة ليس فيها إلا هذه الأنقاض جاثمة على ظهرها ، قد حطمها الـكبر ، وثقلت عليها السنون ، فانحنت حتى تسلق صبية القرية سطحها يلعبون عليه ...

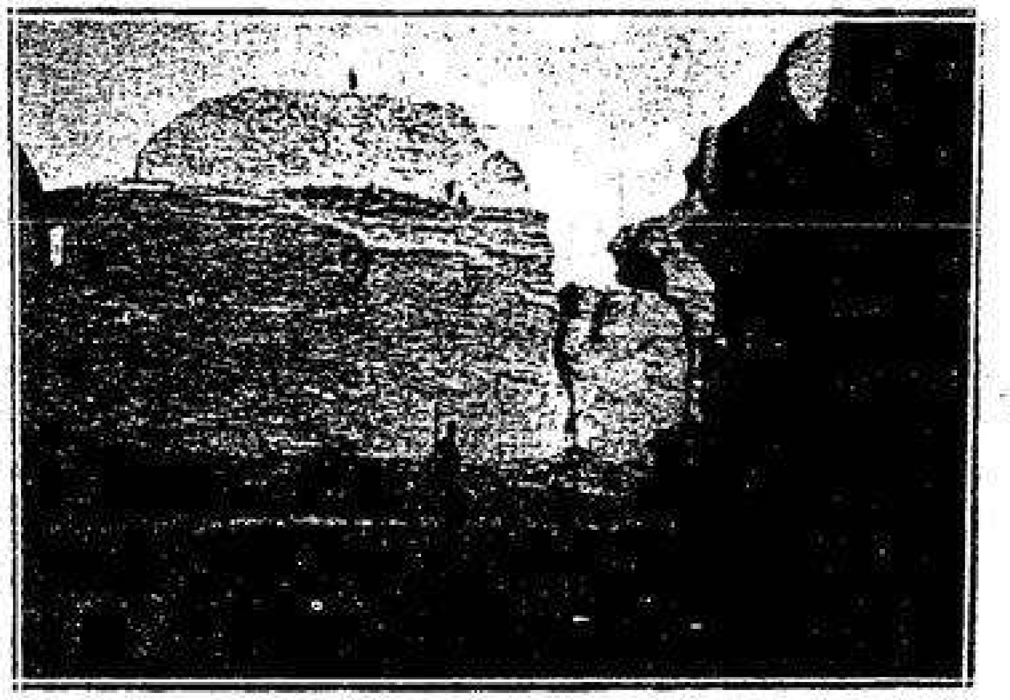
***

الصبية يلعبون على سطح الايوان ! أين كسرى يرى ما صار إليه إيوانه ؟ أبناء العرب يتلهون بمجلسك يا شاهنشاه ! لقـد قوّض المجلس ، وثلّ العرش ، وهوى التاج ، فما أنجدك الجند ، ولا أغنى عنك الغنى ، ولا حمتك الحمِيّة ، ولا آواك الايوان !

لقد مزّق البدو ملـكك يا كسرى ؛ وما هذا عجيباً ، فالتمزيق أسهل من الترقيع ، والهدم أهون من البناء ؛ ولقد هدم البرابرة من قبل عرش الرومان ... غير أن هؤلاء البدو — يامِلك — قد أسسوا حضارة خيراً من حضارتك ، وبناء أجل من بنائك ، وحكموا أعدل من حكمك . لقد أثمرت حضارتُهم حضارةَ القرن العشرين ، وحضارتك لم تثمر شيئاً

لقـد بنت ديموقراطية عمر الذى كان ينام على التراب ، ويلتحف بالبرنس ، ويؤدب بالدرة ، ويعين الفقير ، ويخدم العجوز ، وينصف من نفسه ، لقد بنت ديموقراطيته دولة . أما جبروتك ، وعظمتك الجوفاء ، واستعبادك الناس ، فلقد هدم دولة !

هذه بغداد الاسلام ؛ فيها أربعمائة وخمسون ألفاً ؛ وهـذا إيوانك تصفر فيه الرياح الباردة صفير الفناء الرعب ، وتنشـد فيها الطبيعة نشيد الموت !



(المنظر الجانبي للطاق)

من الذى كان يفكر أيام عزّ الايوان أن صبية العرب ستلعب فى أنقاضه ؟ من الذى يفكر اليوم بأن أطفال الحبشة ستقفز على أطلال روما ؟ لا تتعجبوا من شىء ، إن الليالى يلدن كل عجيبة ...

وليعتبر الطغاة ، فلقد كان كسرى — يوم كان كسرى — أضخم سلطاناً ، وأعظم بنياناً ، وأكثر أعواناً ، فأباد الزمان السلطان ، ودك البنيان ، وأهلك الأعوان ...

***

اعتبروا ... فهذا صرح كسرى خال موحش . وهذا قبر سلمان عامر مأنوس.. . . قد مات القصر ، وعاش القبر ! قصر كسرى شاهنشاه ، الذى كانت تقوم على بابه الملوك

. . . ضاحين حسرى من وقوف خلف الزحام وخنس

قد مات ، وغدا قبراً فى الفلاة ؛ وهذا القبر ، قبر فارسى من عامة الناس ، يصبح مثوى الحياة ، تلتف به البيوت ، ويؤمه الزائرون ، يقفون حياله خاشعين ، ثم يعودون ولا يلتفتون إلى الايوان ، وبينهما ثلثمائة متر ...

أين كان سلمان من كسرى أنوشروان ؟ أين كان من وزرائه وأتباعه ؟ أين كان من خدامه وحشمه ؟ صَهْ : لقد خلد سلمان بالاسلام ، فكان أعظم من كسرى !

***

إلى الأستاذ الزيات

« ذكرى ميلاد » حركت قلمي !

للمربية الفاضلة الآنسة زينب الحكيم

أحييك من قلب يتهيب فواجع الحدثان لتتابعها ، ويئن من المصائب لتواليها ، حتى أصبح قلباً كسيراً ملتاعاً . وأشكرك على كلمتك (ذكرى ميلاد) بقدر ما أشاركك عواطفك النبيلة نحو ذلك « الرجاء » الضائع والأمل المنهار

لقد هز نفسي هذا المقال هزة عنيفة ، وحرك قلمي بعد أن سكن طويلاً ليكتب عن الأطفال ، والطفولة الهنيئة . وكنت قد دفنت هذه الذكرى لا تعمداً ولكن قهراً ، مع أن أمنيتي في الحياة كانت العمل على إسعاد الأطفال واستمتاعهم بطفولتهم ، ولا سيما ونحن في بلد لا يعرف للطفل حقه ، ولا يدرك للطفولة كرامتها

وكم نحن في حاجة إلى آباء مثلك يعنون بدراسة أبنائهم ، ويشاركونهم الحياة ليعيشوا وإياهم سعداء

غالب الظن ، أن الأستاذ الزيات لم يدخل مدرسة علم النفس الحديثة ، أو هو إذا كان قد فعل لا يطنطن بدراساته المتعددة وجهوده المتكررة كما يفعل بعضهم . إن كلمتك يا أستاذ تعد بمثابة رءوس لعدة دروس تربيوية جامعة في عالم الأطفال ، يجب أن توضح وتدرس للآباء والأمهات جميعاً

فأن « فرحك الصادق ، واستبشار نفسك بذلك المولود الذي هبطت عليك بشراه هبوط الملك على زكريا ، والذي جعل نفسك تطمئن إلى أن اسمك قد اشترك ، ووجودك قد ازدوج ، وعمرك قد امتد في الحياة » ، كل ذلك ما ينبغي أن يحسه ويشعر به جميع الآباء والأمهات ، قبل وبعد أن يرزقهم الله أطفالاً ، وذلك من أهم العوامل التي تؤثر في حياتهم

إن ذلك « الرجاء » الذي غير من نظرتك إلى الأطفال ، فجعلها نظرة عملية جادة ، بعد أن كانت خيالية نظرية ، تلك النظرة التي جعلتك تتقرب إلى كل أب ، وتسكن إلى كل أم ، هي التي جعلتك من هذه الناحية في صف المكلفين المسؤولين . ولعمري إن الرجل المكلف المسئول هو الرجل الحر الذي يعتمد عليه . فلله ما أجمل ما اختصك الله به من فطنة للوجود الحق ، وما أقوى ما امتازت به طبيعتك من تكوين الأسرة السعيدة التي هي اللبنة الأولى في بناء الوطن العزيز

ثم إن خطة تعاقب المآدب ، وتقديم الهدايا ، وبهجة الدار المتوالية ، وإعطاء الصغير فرصة الرياضة في الحديقة ، والعناية بنظام حياته كلها في غير إسراف أو تقتير ، يتفق تماماً وروح التربية الصحيحة . كذلك إقامة حفلات الميلاد ، والتعارف بين الأطفال ، وما إلى ذلك ، لما يزيد في بهجة الأسر ، ويدرب النشء على الآداب العامة من نعومة أظفارهم ، ويشعرهم بالواجب ، ويمد شخصيتهم للنضوج التدريجي ، ويشجعهم أيضاً على قبول كل شيء حولهم وفحصه ، من أشياء وأفكار ومبادئ ، فيخضعون للصالح منها في غير تأفف ، ويأنفون من الطالح في صراحة ويقين

لقد كنت مثال الأب الصالح بالنسبة لطفلك العزيز ، فان مصاحبة الآباء لأبنائهم أثناء شراء لعبهم ولوازمهم ، وإعطاءهم فرصة الانتقاء والاختيار مع التوجيه الصحيح والارشاد الحكيم ، يمكنهم من دراسة غرائز أطفالهم وتعرف ميولهم ، فيعملون على تربية كل وفق طبيعته

أما بعد ، فقد تكون الأهرام أضخم وأفخم ، وأعمدة بعلبك أجلّ وأجمل ، ولكن للايوان معنى آخر ...

هنا كان يستقر جلال الماضي كله ؛ هنا كانت عظمة الملك وجبروت السلطان ؛ هنا كان الذي يستعبد الناس ، فيؤلهه الناس ... لم يبق من ذلك كله شيء ...

وكانت الشمس قد جنحت الى المغيب ، فنزلت ووقفت أودّع الايوان ، فاقترب مني سائل أعمى ، وجعل ينفخ في ناي معه نغمة حزينة مؤثرة ... فكان لها — في تلك الساعة ، في صمت الصحراء ، ووحشة الايوان ، وغروب الشمس — أثر في نفسي لا يوصف ، فقلت : آه ... ليتني كنت شاعراً

علي الطنطاوي

مدرس الأدب في الثانوية المركزية ببغداد

وكم كنت أباً رحب الصدر ، بارعاً فى فن تربية الأطفال وهم رجال المستقبل وعدة الوطن حينما كنت تجيب « رجاء » على أسئلته بقدر ما يحتمل عقله ، ولا ترد له سؤالاً أو تعنفه عليه ، ولو كنت فعلت لما لحظت مخائل نجابته المبكرة ، ولا حدة ذهنه وشخصيته القوية المرنة كما وصفت

الى هنا ، يأتى دور العتب على الأستاذ الزيات ، فى هلع نفسه ، وتطيره من الحياة ، لأن الله اختار ذلك الكم العبق لجواره الكريم (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) أيدرى أحدنا لماذا خلق على النمط الذى اختصه الله به ؟ ! أو لماذا يرجمنا الله إليه إن عاجلاً أو آجلاً ؟ ! له فيما يريد أبلغ حكمة

وعهدنا بالأستاذ كبير النفس قوى الايمان ، صقلته غِيَرُ الدهر وصروف الزمن ، فلا ينبغى أن يجزع إلا على قدر

ولست أدرى لم تطوى ثياب « رجاء » تعبث بها الهوام وتوارى فى الحقائب ، وقد لامست جسمه النضر ، وتضوع فيها شذى أنفاسه العطر ! ! ولماذا تخفى لُعب « رجاء » ، وهو الذى لمسها بيديه الطاهرتين ؟ ! وأتساءل فى دهشة : لماذا تستر صور « رجاء » وجميع آثاره ؟ ! !

إن هذا ينافى بقاء ذكراه الكريمة ، ويمحو صورته الجميلة من المخيلة ، ويذهب بصوته الرائق من الأذن

أيها الأب الكريم ! سهل على النفس غرامها ، وعلى القلب حنينه ، وعلى العقل حيرته . انشر صور « رجاء » فى كل مكان جميل فى المنزل ، وضع لعبه فى أكرم مكان وأليقه ، وانفض عن ثيابه المطوية الغبار ، حتى تتلمسه فى كل شىء حولك ؛ وضع أثراً من آثاره كمنديل ، أو قفاز ، أو لعبة صغيرة فى مكان يحتمل أن تطرقه على حين فجأة ، وانس أنك وضعت ذلك الأثر فى هذا المكان ، فاذا صادفك بعد حين ، فاختبر انفعال نفسك بالعثور على ذلك الأثر المنسى ، وجدد الذكرى ؛ ثم حدث أصدقاءك ومحبيك كلما زاروك عن صور « رجاء » على اختلاف مواضعها ومناسباتها . وأشد بذكائه وجمال نفسه ، وما كنت تعقد على وجوده من أمل ، وبهذا تستطيع أن تُبقى « رجاء » حياً فى عقلك وفؤادك ، وبهذا تستطيع أن تجد رجاء أقوى فى (خليفة رجاء) . وحذار من تضليل الطفل بعاطفة مصطنعة ، فأنها لن تخفى عليه مهما صغر سنه ، وإن هو عجز عن أن يثأر لنفسه منك صغيراً ، فلن تفلت منه وهو كبير . واعمل بالمبدأ القائل : إحىَ ويسر للآخرين الحياة

وإنى بهذه المناسبة ، يحضرنى حوار شعرى طريف ، كنت قد حفظته وأنا طفلة بالمدرسة لشاعر الطبيعة الانجليزى (ورذورث Wordthworth) ألخص معناه فيما يلى :

تخيل الشاعر أنه قابل مرة طفلة ريفية راقه حسنها ، فاستأذن فى محادثتها ، وسألها : « ألكِ إخوة وأخوات أيتها الصغيرة ؟ قالت : نعم ، نحن سبعة من ذكور وأناث ، مات منا اثنان . فقال لها : إذن أنتم خمسة الآن لا سبعة ؟ ! فقالت : لا ، نحن سبعة . فقال إذا كان قدمات منكم اثنان فالأحياء خمسة فقط ! ! فأجابته الريفية الساذجة بدهشة ردت الشاعر العظيم إلى صوابه قائلة : ولكنهما حيان عند الله وسنتقابل جميعاً فى الجنة . »

هذا ياسيدى الأستاذ تحليل طفلة غربية ساذجة ، فهل يجوز أن يكون جواب الشرق فى مثل هذه الأحوال كذلك ؟ ! !

الجواب منك وإليك ، وأنت صاحب النفس الكبيرة ، والايمان العامر . أطال الله بقاءك ، وأجمل عزاءك

زينب الحكيم

أدولف

لبنجامان كونستان الفرنسى

عربه الدكتور حسن صادق

أخلد تحليل للقلب الانسانى وأصفى مرآة يرى فيها كل قارئ عواطف نفسه فهو كما قال الدكتور طه حسين فى مقدمته كتاب عظيم الخطر من جميع الوجوه

وثمنه ٢٠ ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر والمكاتب الكبيرة الأخرى

من الشعر المنثور

أحبك أيها الشتاء !

للأستاذ خليل هنداوي

« ألف أدباؤنا أن يكرهوا الشتاء لأنه فصل قاتم الأحشاء ، يفرون من جوه الثقيل ولا يعون شعره ينفذ إلى قلوبهم ، ولكني أراني تدفعني إلى لقاء الشتاء دوافع لا أستطيع لها دفعاً ، وقد أترك القطر الذي لا تظهر فيه آثار الشتاء كثيراً إلى قطري الذي تتجلى فيه »
« خ . ه »

أحبك أيها الشتاء !

أحب غيومك المتناطحة في الأعالي ، تغشى السماء فتحجب زرقتها عن العيون ، وتسطو على النور فتتركه قاتم الأحشاء

أحب خيوطك المتواصلة التي لا تنقطع ، كأنها أغنية السماء للغبراء

أحب طيورك السوداء النازحة ، هائمة بين الأشجار الجرداء ، أو محلقة في الأجواء

أحب أشجارك العارية لأنها خلعت ثياباً قديمة وطرحت أوراقاً ذاوية ، تاركة لغيرها حق النماء

أحب عصافيرك التي تتوارى في الغيوم المدلهمة وقد صرفها التأمل عن الغناء

أحب هامات الجبال المكتسية بالثلوج ، وبطونها التي في كل منحدر منها ساقية تغني ، وفي كل منبطح جدول له خرير

أحب رائحة الأرض التي تنم عن كنوز تنطوي عليها فأفعم نفسي بشذاها ، وأملأ قلبي من طيب ثراها

* * *

أحبك حيثما كنت أيها الشتاء !

أحبك وأنت تزجي إلى مدينتي الغيوم السوداء

تطرح على غامرها وعامرها شباكاً من خيوطك المتواصلة

فما يبالي العاملون بك ، ولا يفر الساعون منك ؛ يمشون سراعاً تحت شباكك إلى العمل الذي يناديهم !

أحب هذه الحجب القاتمة التي يطرحونها على أبدانهم يتقون بها برد الشتاء

إنهم يريدون أن يصافحوك تحت هذه السرابيل ولا يريدون منك فراراً

أحبك وأنت تغشى مدينتي لأنني أرى قلبها ينبض ويخفق بهؤلاء المتزاحمين صفوفاً متراصة في كل شارع ؛ تدوي أصواتهم في قلبك وقد كانت هامدة ، وتعلو حركتهم في جوك وقد كانت خامدة

أحب أنفاسك المتراكمة على المدينة حابسة أنفاسها فيها ...

أروّح هذه الأنفاس فلا أجد إلا نفساً واحداً ، وأنت لو ميزت هذا النفس لرأيت أنه خليط من أنفاس متباينة ؛

أنفاس زفرت من صدور عاملين بائسين ؛ وأنفاس خرجت من رجال ونسوة مرحين

كلها صدتها أنفاسك تحت غيومك ، فردتها إلى المدينة نفساً واحداً ، أكاد — إذا تروحته — أن أقول : هذا نفس عاشقة تترنح ! وهذه زفرة بائس يتروح !

ولكني لا أجدها إلا نفساً واحداً ممازجاً ! يعبق في جو المدينة ، وينسل إلى دور المدينة

فنهارك الحائل متحرك ، وليلك الحالك متحرك

* * *

هذه الحركة هي أبرز مظاهرك وخير ظواهرك ، تنشأ وتنمو في حضنك أيها الشتاء !

أحب حركتك التي تدل على ثورة الأرض والسماء فيك ، فكل شيء فيهما وبينهما ثائر يتحرك !

توحي غيومك المتناطحة معنى الحركة ، وتهدي عواصفك الثائرة ورياحك الجائرة إلى الحركة ، وتعلن في كل مكان نزلت فيه الحركة ...

* * *

أقم ما شئت يا شتاء !

ولتدلهم — ما شاءت — غيومك !

فأنني أحببت كل اضطرابك ، وأنست باصطخابك

يا علامة النفس الحية الثائرة !

خليل هنداوي

من مراثي لامرتين لحبيبته ألفير

الى إلفير

« ... أما الشاعر فانه لقادر على أن يترك لمن يحب ويهوى حياة لايهرمها العفاء ! »
لامرتين

ترجمة الأستاذ معروف الأرناءوط

بَلَى إنَّ نهر « آنيو » ليمور وقد استفاضت أثباجه ، ورجع صداها اسم « سنتى[(١)] » البهيّ ، وكذلك نهر « الفوكلوز » ألا تراه هادرا دافقا يحمل إلى صخور « تيبور » اسم « لور[(٢)] » المستحبّ ، وإن لنهر « فه رار » مثل هذا الشأن ، إذ ألقى فى سمع العصور الآتية اسم « أليئور[(٣)] »

***

يا لهناءة الجمال وقد عكف الشاعر على عبادته واصطفاه حرماً ومقاماً ! بل يا لهناءة الاسم الذى يسكن فى أغانيه وأناشيده !

أيتها الحبيبة ! إنك لتستطيعين أن تبعثى أنفاسك الأخيرة ، أما الشاعر فإنه لقادر على أن يترك لمن يحبّ ويهوى حياة لا يهرمها العَفَاء . ألا ترينه وقد سدر فى سدفة ، يُحلِّق فى الفضاء بجناحين من عبقرية وذكاء ؟ إنه ليصعد حتى يلتقى مع الخلود فى مصاف واحد

***

لَئِنْ كان زورق ، وقد استخذى للرياح البوارح ، غَبَرَ يمشى قدُماً إلى شاطئ وادع ساكن ، فذلك لأنّ ريحا ليّنةً سَجْوَاء تهافتت عليه ومشت به إلى نور دافق

إذا كانت هنالك شموس أبهر لألاءً استفاضت فوق هامتى ، إذا كانت دموع الحبيبة غسلت حوبات قدرى العاثر ورفعت عن جبينى وقد غشيته ظلال الفناء ، فربما كان ذلك — عفوك يا صاحب النغم الثائر — حادياً بى إلى أمر يتساوى معه تمرّدى بالحبّ الذى يستهوينى فأصوغ أناشيد الرثاء والنزع وأترك فى معبد الحبّ القديم نصباً قائماً وأثراً خالداً

ألا ترى الرجل الجوّابة وقد اعتسف السّير وارتاد حمى الوادى كيف اطمأنّ إلى الشجرة الفرعاء ، ينعم بوارف ظلها ثم استفزته نوازع النفس إلى نقش اسمه على جذعها فترك بذلك أثراً بيّناً

***

أرأيتَ كيف تنكّر كلُّ شئ واستبهم ، وكيف غشيت ظلمة الموت حواشى الطبيعة فتعرّت الأرض من روائها ، ونصل زبرج الغابات وذوى ، واستفاقت أمواج النهر فى أعماق الزّاخر الهزج ، وهبّت على المروج ريحٌ صَرْصَرٌ عانية صوّحت زهرها وأقاحها ومشت عربةُ الخريف فى مزالق السنين تدفعها إلى المجهول يدُ الشتاء العابثة

إنّ الزمن والموت حليفان سلاحهما سيفٌ مُرْهَفُ الحدّ عَظِيم الصليل ، إنهما ليطويان العالم الخامد ويجددانه كرّ الغداة ومرّ العشىّ

***

ينثال الحصاد فى حضيض النسيان الأبدىّ ، وكالصيف الذى يتساقط عشبه وينهار ، وكالكرمة الذابلة المصفرّة إذ ترى الخريف المخصوصب يلقى بأزهارها إلى القطاف ، هكذا ستسقطين وتذبلين يا زهرات العمر القصيرة وما تمثل فيك غير الشباب ، والحبّ والسرور والجمال الزائل

انظر بعين رأفةٍ وَحُبّ إلى ذلك الشباب الهادر ! إنه يتألق ويفيض جمالاً ثم يمتصه السرور والفرح ، وحينما تنصب كأسه المترعة لن يبقى منها إلا ذكرى ضئيلة ، فإن القبر الذى ينتظره يبتلعه بأسره ، ثم يسود هذا الحبّ سكونٌ أبدىّ

***

ولكن العصور الآتية ستمرّ فوق رغامك يا « إلفير » وستعيشين إلى الأبد

(دمشق) معروف الأرناءوط

(١) « سنتى » حبيبة الشاعر الايتالى « بروبه رس »
(٢) « لور » حبيبة الشاعر « به ترارك »
(٣) « اله ونور » حبيبة الشاعر « لوتاس »

إلى نينـــون ...

لألفريد دي موسيه

ترجمة الدكتور أحمد ضيف

أستاذ الأدب العربي بدار العلوم

تُرَى ... ماذا تقولين لي — يا ذات الشعر الأسود والعيون الزرقاء — إذا بحتُ لكَ بحبي ... الحب كما تعلمين ينبوع أسقام مضنية، بل هو سقم لا يعرف الشفقة .. وإنك لتتجرعين آلامه. مع هذا فقد تتوعدينني بالعقاب

* * *

نينون! إنكِ لبارعة .. فقد خفي عليَّ انصرافك عني فلم أتنبأ به؛ فإذا قلت لك إن ستة أشهر قد انصرمت في صمت وسكون خفيت فيها آلامي المبرحة وآمالي السانحة .. ربما تقولين إنك تعلمين ذلك ...

فإذا قلت لك إن جنوناً حلواً لذيذاً صيّرني ظلاً من ظلالك، وحملني على ألا أفارق خطواتك، وإن شيئاً من الشك والوجد، كما تعلمين، جعلك أجملَ ما تكونين، قد تقولين لا أظن ذلك. وإذا قلت لك إني أحفظ في سويداء قلبي كل صغيرة وكبيرة من مسامراتك، وإن نظرة ارتياب منك — كما تعلمين — تجعل تلك العيون الزرقاء لهيباً مشتعلاً ... إذن لتحرمين على رؤيتك؛ وإذا قلت لك إن السهاد ينتابني كل ليلة، وإن البكاء يتملكني كل يوم، وإني أدعو الله جاثياً .. نينون! ألا تعلمين أنك عند ما تضحكين تظن النحلة أن فمك زهرة قرمزية .. إذا قلت لك ذلك ربما تضحكين مني!

* * *

سيخفى عليك أمري فسأجيء إليك صامتاً .. أجلس في ضوء مصباحك وأتحدث معك فأسمع صوتك وأستنشق عبيرك، ولك أن ترتابي في حبي وأن تظني بي الظنون وأن تضحكي مني، ولكن لن يتسنى لعينيك أن تعرفا لماذا تنظران إليَّ شزراً؟

* * *

سأجني في الخفاء زهرات حافلة بالأسرار، وفي المساء أجلس خلفك وأسمع عزف يديك على البيانو، وأشعر بقدك الرشيق يلتوي بين ذراعيّ كغصن يميد، وأنت غارقة في لجة الأنغام المرقصة!

* * *

فإذا جننا الليل، وبدد النوى شملنا، ودخلت حجرتي، وأرخيت سدولها، تناوبتني ذكريات أيقظت في نفسي الغيرة؛ فهناك وأنا وحدي أمام الله أهيم فرحاً وسروراً ... أفتح قلبي، وكأنه خزانة من ذهب، فأجده مملوءاً بحبك ... إني أحب وأعرف أن أكتم حبي ... أحب ولا ينبيء عن حبي شيء ... أحبُّ ومثلي لا يذاع له سرٌّ! فما أعز سرّي، وما أعز سقمي وحبي!

لقد أقسمت أن أحب في غير أمل ولا رجاء، ولكن في سعادة وهناء ... إني أراك وكفى! كلا ... لم أخلق لهذه السعادة الجلّى كي أموت بين ذراعيك أو أعيش تحت قدميك! وا أسفاه! كل شيء ينبيء بذلك ... حتى آلامي ..

مع هـذا، تُرى ماذا تقولين لي — يا ذات الشعر الأسود والعيون الزرقاء إذا بحت لك بحبي؟

أحمد ضيف

التلميـــذ

الرواية الخالدة التي وضعها كاتب فرنسا العظيم

بول بورجيه

ونقلها إلى العربية

الأستاذ عبد الحميد نافع

في أسلوب عربي مبين

تباع في جميع المكاتب الشهيرة والثمن عشرة قروش صاغ

١٠ ـ هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الصديق

يقول المنفرد في نفسه (لا أطيق وجود أحد بقربي) ولكثرة ما يقف محدقاً في ذاته تظهر التثنية فيه ، ويقوم الجدال بين شخصيته وبين ذاته فيشعر بالحاجة إلى صديق . وما الصديق للمنفرد إلا شخص ثالث يحول دون سقوط المتجادلين إلى الأغوار كما تمنع المنطقة المفرغة غرق الماعين

إن أغوار المنفرد بعيدة القرار ، فهو بحاجة إلى صديق له أمجاده العالية ؛ فثقة الانسان في غيره تقوده إلى ثقته بنفسه ، وتشوقه إلى الصديق ينهض أفكاره من كبواتها

كثيراً مايقود الحب إلى التغلب على الحسد ، وكثيراً مايطلب الانسان الأعداء ليستر ضعفه ويتأكد امكانه مهاجمة الآخرين

من يطمح إلى اكتساب الصديق وجب عليه أن يستعد للكفاح من أجله ، ولا يصلح للكفاح إلى من يمكنه أن يكون عدواً . يجب على المرء أن يحترم عداءه في صديقه ، إذ لا يمكن لك أن تقترب من قلب صديقك إلا حين تهاجمه وتحارب شخصيته

أنت تريد الظهور أمام صديقك على ما أنت عليه هاتكاً كل ستر عن خفايا نفسك ، فلا تعجب إذا رأيت صديقك يعرض عنك ويقذف بك إلى بعيد

من لا يعرف المصانعة يدفع بالناس إلى الثورة عليه ، فاحذر العرى ، ياهذا ، لأنك لست إلهاً ، والآلهة دون سواهم يخجلون من الاستتار

عليك بارتداء خير لباس أمام صديقك ، لتهيب به إلى طلب المثل الأعلى : الانسان الكامل

أفما تفرست يوماً في وجه صديقك وهو نائم لترى حقيقته ؟ أفما رأيت ملامحه إذ ذاك كأنها ملامحك أنت منعكسة على مرآة مبرقعة مميهة ؟ أفما ذعرت لمنظر صديقك وهو مستسلم للكرى ؟ ما الانسان ، أيها الرفيق ، إلا كائن وجب عليه أن يتفوق على ذاته ، وعلى الصديق أن يكون كشافاً صامتاً ، فامسك عن النظر علناً إلى كل شيء ما دمت قادراً في غفلتك على كشف كل ما يفعله صديقك في انتباهه . عليك أن تحل الرموز قبل أن تعلن إشفاقك ، فقد ينفر صديقك من الاشفاق ويفضل أن يراك مقنعاً بالحديد وفي عينيك لمعان الخلود

ليكن عطفك على صديقك متشحاً بالقسوة وفيه شيء من الحقد ، فيبدو هذا العطف مليئاً بالرقة والظرف

كن لصديقك كالهواء الطلق والعزلة والغذاء والدواء ، فان من الناس من يعجز عن التحرر من قيوده ولكنه قادر على تحرير أصدقائه

دع الصداقة إذا كنت عبداً ، وإذا كنت عاتياً فلا تطمح إلى اكتساب الأصدقاء

لقد مرّت أحقاب طويلة على المرأة كانت فيها مستبدّة أو مستعبدة فهي لم تزل غير أهل للصداقة ، فالمرأة لا تعرف غير الحب

إن حب المرأة ينطوي على تعسف وعماية تجاه من لا تحب ، وإذا ما اشتعل بالحب قلبها فان أنواره معرضة أبداً لخطف البروق في الظلام ...

لم تبلغ المرأة بعد مايؤهلها للوفاء كصديقة ، فما هي إلا هرة ، وقد تكون عصفوراً ، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة ...

ليست المرأة أهلاً للصداقة ، ولكن ليقل لي الرجال من هو أهل للصداقة بينهم ؟ إن فقر روحكم وخساستها يستحقان اللعنة أيها الرجال ، لأن ماتبذلونه لأصدقائكم يمكنني أن أبذله لأعدائي دون أن أزداد فقراً

إنكم لا تتخذون إلا الأصحاب ، فالى متى تسود الصداقة بينكم ؟

ألف هدف وهدف

لقد شاهد زارا كثيراً من البلدان وكثيراً من الشعوب ، فنفذ إلى حقيقة الخير والشر ، وعرف أن لا قوة في العالم تفوق قوتهما

تحقق أن ليس على الأرض من شعب تحلو له الحياة دون أن يُخضع النُظُم والسُنن لتقديره ، وأن كل شعب يرى من واجبه ، إذا أراد الحياة ، أن يجيء بتقدير يختلف عن تقدير من

يجاوره من الشعوب . وهكذا كان ما يراه أحدها خيراً يراه الآخر دناءة وعاراً

ذلك ما عرفته ، فكم من عمل اتشح بالعيب فى بلد ، رأيته مجللا بالشرف والفخر فى بلد آخر

لم أر جاراً تمكن من إدراك حقيقة جاره ، بل رأيت كلاً منهما يعجب لجنون الآخر وقسوته

لقد علق كل شعب فوق رأسه لوح شريعته ، وسطر عليه ما اجتاز من عقبات وما تضمر إرادته من عزم ، فما تراءى له صعب المنال فهو موضوع تمجيده ، وما خيره إلا حاجة ملحّة عز مطالها ، فهو يقدس كل وسيلة تمكنه من الظفر بهذه الحاجة

إن كل ما يوطد الحكم لهذا الشعب ، وكل ما ينيله النصر والمجد ويلقى الرعب فى روع جاره مثيراً حسده إنما هو فى نظره ذو المكانة الأولى ، وما احتل المقام الأول فى اعتباره يصبح مقياساً لجميع أموره ومعنى لجميع ما يحيط به ؛ فاذا ما تمكنت من الاطلاع على حاجات أى شعب وخبرت أرضه وجوه وحالة جاره ، فأنك لتدرك النواميس التى تتحكم فيه وتحفزه الى المجالدة للغلبة على أهوائه ، ولتعرف السبب فى اختياره مراقيه الخاصة يتدرج عليها لبلوغ أمانيه

(عليك أن تكون سبّاقاً مجلياً فى كل مضمار ، فلتتلفع نفسك بغيرتها كيلا تبذل الولاء إلا للصديق)

إنها الكلمات إذا وقعت فى أذن يونانى ، ترتعش نفسه لها فيندفع الى اقتحام الصعاب طلباً للمجد

(قل الحق ، وكن ماهراً فى تفويق سهامك من قوسك)

إنها لوصية صعبت وعزّت على الشعب الذى اقتبست اسمى منه ، وفى هذا الاسم من المصاعب قدر ما فيه من أمجاد

(أكرم أباك وأمك ، ولتكن باراً بهما من صميم قلبك)

وهذه الوصية القائمة على إرغام النفس ، قد عمل بها شعب آخر فبلغ القوة وأصبح خالداً

(كن أميناً وابذل للأمانة دمك وشرفك حتى ولو كان جهادك فى سبيل ما يضير وما يورد المهالك)

وهذه أيضاً وصية عمل بها شعب آخر ، فتغلب على ذاته وأصبح عظيما تثقله الأمانى الجسام

لقد أقام الناس الخير والشر ، فابتدعوهما لأنفسهم ، وما اكتشفوهما ولا أنزلا عليهم بهاتف من السماء

لقد وضع الانسان للأمور أقدارها ليحافظ على نفسه ، فهو الذى أوجد للأشياء معانيها الانسانية

ما التقدير إلا الايجاد بعينه ، فاصغوا إلىّ أيها الموجدون

ما الكنوز والجواهر إلا أشياء أرادها تقديركم جواهر وكنوزاً ، فما القيمة إلا اعتبار ، ولولا التقدير لما كان الوجود إلا فتوراً لا نواة فيها . اسمعوا أيها الموجدون : — إن قيمة الأشياء تتغير تبعاً لتحول اعتبار الموجد ، ولا بد لهذا الموجد من أن يهدم فى كل حين

لقد كانت الشعوب تتولى الايجاد فى البدء حتى ظهر الأفراد الموجدون ، فما الفرد فى الواقع إلا أحدث هيئات الوجود

لقد أقامت الشعوب لنفسها قدْماً شريعة خيرها ، وما نشأت هذه الشريعة إلا باتفاق المحبة التى طمحت الى السيادة ، والمحبة التى رضيت بالامتثال

إن هوى المجموع أقدم من أهواء الفرد ، وإذا كان خير الضمائر ما يكمن فى المجموع ، فان شرها ما يتجلى فى الفرد المعلن شخصيته

والحق أن الشخصية المراوغة التى لا محبة فيها ، الشخصية التى ترمى الى الاستفادة من خير الاكثرية ، إنما هى عنوان انحطاط المجموع لا مبدأ كيانه

ما خلق الخير والشر فى كل عصر إلا المتهوسون المبدعون ، وما أضرم نارهما إلا عاطفة الحب وعاطفة الغضب باسم الفضائل جمعاء !

لقد شاهد زارا كثيراً من الشعوب والبلدان فما رأى قوة على الأرض تفوق قوة المتهوسين ، والقوة معنى لكلمتى الخير والشر ما أشبه ما يستدعى التمجيد ويستوجب العقاب بالمسخ الهائل ، فمن له بسحق هذا المسخ ، أيها الاخوة ؟ من سيشد بالأغلال على ما يُتلعُ هذا الحيوان من آلاف الأعناق ؟

لقد بلغت الأهداف الألف عدا إذ بلغ عدد الشعوب ألفاً ، فنحن بحاجة إلى قيد واحد لألف عنق ، لأننا بحاجة إلى هدف واحد ، فالبشرية لم تعرف حتى اليوم لها هدفاً ، ولكن إذا كانت الانسانية تسير ولا غاية لها ، أفليس ذلك لقصورها وضلالها ؟

هكذا تكلم زارا

(يتبع) فليكس فارس

١٢ - تاريخ العرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسن محمد حبشى

الفصـــل الثانى

ثم ملك بعده الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج بن الحرث الأكبر؛ ومن ولد الحرث الأعرج أيضاً عمرو بن الحرث الذى كان النابغة سار إليه حين فارق النعمان بن المنذر؛ وكان يقال لعمرو أبو شمر الأصغر ومن ولده المنـذر بن الحرث والأيهم ابن الحرث، والأيهم هذا أبو جبلة بن الأيهم؛ وجبلة آخر ملوك غسان، وكان طوله اثنى عشر شبراً، وكان إذا ركب مسحت قدمه الأرض، وأدرك الاسلام فأسلم فى خلافة عمر بن الخطاب ثم تنصر بعد ذلك ولحق بالروم. وكان سبب تنصره أنه مر فى سوق دمشق فأوطأ رجلاً فرسـه فوثب الرجل فلطمه فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبى عبيدة بن الجراح[1] فقالوا هذا لطم سيدنا. فقال أبو عبيدة: « البينة بأن هذا لطمك؟ » قال وما تصنع بالبينة؟ قال إن كان لطمك لطمته بلطمتك. قال ولا يقتل؟ قال لا. قال تقطع يده؟ قال لا، إنما أمر الله بالقصاص فهى لطمة بلطمة، فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر ولم يزل هناك إلى أن هلك[2] ». وإن الأخبار العربيـة الخاصة بدولة الغساسـنة لجيزة موئسة، وقل أن تمد الباحث بأى مادة حتى يستطيع أن يؤلف من شتاتها هيكلا تاريخياً تقريبياً باضافتها إلى النتف المبعثرة فى كتب المؤلفين البيزنطيين[3]. ويظهر أن أول أمير مستقل من الغساسـنة هو الحرث بن جبلة الذى اختاره جستنيانوس حوالى ٥٢٩ م ليكون فى جانبه ضد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وقد قضى الجانب الأعظم من حكمه الطويل (٥٢٩ - ٥٦٩) فى حروب طاحنة مع منافسه الخطير الذى ذكر شيء عن دفاعه وموته فى الواقعة الفاصلة واقعة حليمة التى أشرنا إليها آنفاً، وكان الحرث مسيحياً يعقوبياً، وقد دافع عن هذا المذهب دفاعاً شديداً فى حماسة منقطعة النظير فى وقت كان التملق بأهدابه إبانه مجازفة خطيرة. وإن القصة التاليـة لتصوّر خالقه الخشن المخيف: ذلك أنه فى أخريات أيامه زار القسطنطينيـة ليتفق مع السلطة الحاكمة هناك عمّن يخلفه من أبنائه، واستطاع أن يجتذب اليه عطف الكثيرين، وترك أثراً عظيما فى نفوس أهلها وخاصة ابن أخى الامبراطور جستنيانوس؛ وبعد عدة أعوام حينما تقدّم بجستنيانوس عمره وأصابه الجنون، خافه حجابه إذ أخذ يهـــذى بقوله: « هش سيأتى إرثاس ويأخذكم[1] »

وخلف الحارث ابنه المنذر الذى ظهر على ملك الحيرة الجديد قابوس بن هند عام ٥٧٠ م فى الموقعة التى ربما كانت هى المعروفة عند العرب بعين أباغ[2]، وربما يكون رفض الامبراطور جستنيانوس إمداده بالمـال مانعاً إياه (المنـذر) من الاهتمام برعاية مصالحه؛ وكان ذلك فاتحة عداء بينهما، ولذلك تلبـدت سماء صداقتهما بغيوم عداء ظل مستحكم الحلقات إحدى عشرة سنة؛ ومنذ ذلك الوقت حتى استيلاء الفرس على فلسطين سـنة ٦١٢ م ضربت الفوضى بجرانها، وعمت أرجاء مملكة الغساسنة، فأخذت القبائل المختلفـة تختار رؤساءها الذين كانوا بطبيعة الحال، وفى كثير من الأحيان، من جفنة؛ ولـكن الأسرة نفسها تحطمت تمـاماً؛ وغير بعيد أن تكون قد استعادت قواها الدائرة وسطوتها الغابرة، حينما طرد هرقلُ الفرس من أرض سورية سنة ٦٢٩ م إذ نجد الغساسـنة مراراً يحاربون المسلمين بجانب رومة، ويتفق المؤرخون العرب جميعاً على أن جبـلة بن الأيهم الجفنى — الذى كان له ضلع كبير فى النزاع — هو آخر ملك غسانى، وقد حكم حوالى سنة ٦٣٥ م؛ وأن الشاعر حسان بن

(١) أحد صحابة الرسول قاد الجيش الاسلامى فى فتح الشام، ومات سنة ٦٣٩ م

(٢) ابن قتيبه Brünnow : chrestomathie pp. 26 — 28

(٣) التفاصيل المذكورة مستقاة من مقال نلدكه Die Ghassânischen Fürsten aus dem Hause Gafna's فى Abhband. d.Kön. Preuss Akad. d.Wiss-enschaften (Berlin, 1887)

(١) يرى نلدكه (المرجع السابق ص ٢٠) أنها تشير الى قيس افسيسوس (الباب الثانى الفصل الثالث) راجع: The Ecclesiastical History of John, Bishop of Ephesus trans. by R. Poyne Smith, Part III, q. 168

(٢) لا يمكن أن تكون هذه الواقعة هى نفس واقعة « عين أباغ » التى حدثت بين المنذر بن الحرث بن جبلة والمنذر الرابع ملك الحيرة عام ٥٨٣ م راجع: Guidi : L'Arabi antéislamique, p. 27.

ثابت الذى كانت تربطه رابطة القربى بالغساسنة قد زار فى شبابه بلاطهم فصوّر لنا تصويراً شاملاً دقيقاً ما يموج به من صور النعيم والترف والعظمة فى قوله[١] « لقد رأيت عشر قيان : خمسا روميات يغنين بالرومية ، وخمسا يغنين غناء أهل الحيرة أهداهن اليه إياس[٢] بن قبيصة ، وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها ، وكان إذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك فى صحاف من الفضة وأوقد له العود المندى إن كان شاتياً ، وإن كان صائفاً بطن بالثلج وأتى هو وأصحابه بكساء صيفية يتفضل بها هو وأصحابه فى الصيف ، وفى الشتاء الفراء والفنك وما أشبهه ؛ ولا والله ما جلست معه يوماً قط إلا خلع على ثيابه التى عليه فى ذلك اليوم وعلى غيرى من جلسائه . هذا مع حلم عمن جهل ، وضحك وبذل من غير مسألة ، مع حسن وجه وحسن حديث ، ما رأيت منه خناً قط ولا عربدة[٣] »

ولم تكن إقامة الغساسنة ثابتة بعكس منافسيهم فى الفرات ، فقد حكموا الاقليم الذى حول دمشق وتدمر ، ولكن هذه الأماكن لم تكن فى حوزتهم أبدا ، وكانت عاصمة ملكهم البدوية « الحيرة » التى ظلت تنتقل معهم هنا وهناك ، ولكنها كانت توجد عادة فى الجولان جنوب دمشق ، وقد استطاع الغساسنة أن ينشئوا حضارة أعظم من حضارة اللخميين لتأثر الأولين تأثرا شديداً بالثقافة الاغريقية ، وللطبيعة البدوية التى كان عليها الآخرون الذين كانوا أوثق اتصالاً بالعرب الوثنيين الذين استطاعوا أن يسموهم بميسمهم . وإن بعض مظاهر هذه الحضارة لتتضح لنا من خلال الوصف الشائق لبلاط جبلة بن الأيهم ، ذلك الوصف الذى ينسب إلى الشاعر حسان . ولما صبّ النعمان الثالث ملك الحيرة جام غضبه على الشاعر الأمى النابغة هرب إلى سورية حيث نظم قصيدة رائعة امتدح فيها الغساسنة فى شخص مليكهم الحرث بن الأعرج ، وبعد أن امتدح بسالتهم وشجاعتهم فى ركوب متن الأهوال التى صوّرها فى بيت واحد قوى يقول فيه :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

أخذ يقول :

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم   من الجود والاحلام غير عوازب
محلتهم ذات الأله ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب
رقاق النعال طيب حُجزاتهم   يحيوّن بالريحان يوم السباسب
تحييهم بيض الولائد بينهم   وأكسية الاضريج فوق المشاجب
يصونون أجساداً قديماً نعيمُها   بخالصة الأردان خضر المناكب[١]

وتاريخ البدو أيام الجاهلية لا يخرج عن كونه سجلا لحروبهم ، أو بالأحرى عن ذكر عصابات كانت تغير على القوافل بين آن وآخر للسلب والنهب . ولم تكن ثمت حاجة إلى الاستغاثة ، بل كان كل فريق منهم يفخر بنسبه ، ويرى الآخر بوابل هطال من الأهاجى المقذعة وتؤسر الابل والنساء ، كما كانت المناوشات المدة تقوم بينهم ، ولكن القليل منها يؤدى الى نشوب حرب ، وكان ذلك نوعاً من الحروب الهوميرية أتاح فرصة طيبة للقيام بأعمال تنطوى على البطولة . ويقول توربك فى ذلك : « وإذا شئنا أن نكتب التاريخ الواقعى لمثل هذه المنازعات البدوية وجدنا ذلك أقرب الى المستحيل . أما عن المصادر المعاصرة لها التى تستأهل عناية الباحث ، فليس لدينا سوى القصائد والمقطعات الشعرية التى ظلت محفوظة . وطبقاً لما يذكره السيوطى كان العرب يطلبون من أى بدوى يقص حادثة تاريخية أن يقرنها ببعض أشعار تتعلق بها . وفى الحقيقة أن هذه الأقاصيص وأشباهها التى حفظت على مر العصور حتى وصلت إلينا قد تبلورت حول القصائد . ومما يؤسف له أنها قلما كانت صحيحة ، وكثيراً ما يتضح أن الأقاصيص قد اخترعت اختراعا حتى توافق موضوع الأشعار[٢] »

(يتبع) حسن حبشي

---

(١) الأغانى ج ١٦ س ١٥ س ٢٢ — ٣٠

(٢) تولى أياس بن قبيصة ملك الحيرة (٦٠٢ — ٦١١ م) عقب النعمان الثالث وينمى الى قبيلة طى . راجع ما كتبه Rothstein فى : Lahmiden, P. 119.

(٣) مع استبعاد أن تكون هذه القطعة من قول حسان فهى مشكوك فيها ، ولكن هذا لا يؤثر جديا فى قيمتها إذا اعتبرنا أنها مأخوذة من ديوان الشاعر نفسه الذى تكلم فيه صرارا عن الغساسنة ، والاشارة الخاصة الى جبلة بن الأيهم خطأ ، فان معرفة حسان بالغساسنة ترجع الى أيام أن كان وثنياً ؛ والمعروف أنه اعتنق الاسلام قبل حكم جبلة بعدة سنوات

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى طبعة Derenbourg ص ٧٨ ، وفى Delectus لنلدكة ص ٩٦ ، وقد ترجم القصيدة بأكملها سير شالز ليل فى كتابه Ancient Arabian Poetry, P. 95

(٢) Thorbecke : Antarah, ein vorislamis-cher Ditcher, P.14

الأمـــل

مهداة إلى شبابنا البواسل
أمل مصر فى عهدها الجديد

للأستاذ محمود الخفيف

طامحٌ يوحى لقلبى ما الطماحْ — سائلُ الغُرّةِ رفّافُ الجناح
سابحٌ فى النور هيمانٌ به — أبداً تلقاهُ فى عليائه
نازعاً صوبَ السماوات الفساح

خافق يملأ نفسى سِحرُه — وإذا غاب فحسبى ذِكرُه
كلما أزعج رُوحى خاطرٌ — هتف القلبُ به مُسترْوِحاً
فتراءى ، فاجتلاهُ ، فاستراح

قبسٌ لاح من الخلد سناه — كم جلا للنفس من سرّ الحياه
كم تطلعت إلى غُرّته — وهفتْ نفسى إلى بسمته
فى غُدُوّ للمعالى ورَواح

كم نَفَى مرآهُ عن قلبى الشّجن — كم سهت روحى عن هذا البدن!
آهِ كم ثارت بقلبى عزمةٌ — ولكم آنستُ فى إشراقه
من تجلٍّ لم يكن قبلُ يُتاح

حُلُم يا حُسنه من حُلُمِ — قصّرت عنه وضاقت كلمى
فقصاراى مُنى ناضرةٌ — ورؤًى ضاحكةٌ مُسفِرةٌ
مِنه فى دُنيا جمال ومِراح

لمحةٌ فى الأرض من معنى الخلودْ — سلوةُ الانسان فى هذا الوُجود
ماثلٌ فى كلّ حُسن ، ناطِق — كم رأتْ عيناى فى ساحاته
من معانٍ ترجمت عنه فِصاح

***

شِمتُه فى البدرِ نَدْيانَ الشبابْ — شقّ فى مسراهُ مركومَ السحاب
ثمّ فى الصبح بدت آيتُه — وتجلى بعدَ ليل مُطبق
أبْلَجَ الوجنةِ وَرْدىَّ الوشاح

فى تباشـير الربيع المُغدِقِ — فى تثنّى كل غصن مورق
فى زِياط العُشّ ، فى أفراحه — فى انتشاء الكون ، بل فى بعثه
فى الشّذى نمّ بأسرار البطاح

فى نَدىّ الزّهرِ جلاه الفلق — مُشبَعَ الصبغةِ من لون الشفق
ملأ الأنفسَ من نُضرته — ومضى يروى حديثاً عجباً
عن وجوهٍ مثله غُرّ صِباح

شِمتُه فى البُرءِ بعد السّقمِ — مسحتْ يمناهُ بَرْحَ الألمِ
فى الشباب الغضّ موفور الجذل — تبهرُ الألبابَ فى إقدامه
عزَماتٌ منه فى الجدّ صِحاح

فى نهوض الفذ من عثرته — فى تساميه إلى غايته
فى انطلاق الحُرّ من أصفاده — فى خُطى العائدِ من غُربته
بعد شوقٍ وعناءٍ وانتزاح

***

توأمَ الحُبّ وبانى عُشّه — إيه يا صِنوَ الهوى فى عرشه
أجتلى وجهك سمحاً مُشرقاً — فى وجوهٍ تشرق الدنيا بها
مثلما يُشرق بالشمس الصباح

أجتلى طَيْفكَ حُلواً رائعاً — فى مُحَيّين يروقان معا
أنت أحييت المنى فالتقيا — وجعلت الوصلَ لهواً سائغاً
لا أرى فيه على الحُبّ جُناح

أجتلى طيفك فى وجه الغلام — راق فى عينيه معنى الابتسام
تطرَب الأمُّ إلى لثغته — ويَرى الوالدُ من أفعاله
أبداً بين ثناء وامتداح

***

يا أنيس الروح فى وحشتها — وحديث النّفس فى خلوتها
كم تراءاكَ فؤادى قبساً — ولكم لُحْت لعينى صورةً
أذهلت قلبىَ عن لذع الجراح

هاتِ من فيضك يا نورَ الأملْ — إيه يا روح الشباب المُقتبل
أدِرِ الدّفة وانشر لى الشراعا — رافق الفلكَ إلى وِجهتها
وابتسمْ ؛ يلمعْ على الافق النّجاح

الخفيف

رواية الدمع

للسيد رفيق فاخوري

أيها النائي على قُرْبىَ دمٍ … بين قلبينا ، أغث قلبي الصَّدِي
عاطِ من راحك ظمآن إلى … خمرة تحيي صريع الكمد
وحياةِ الحب يا من بَعَثتْ … روحُه ميتَ الهوى في كبدي
لم تخنك العين في السرّ وما … تسترُ نشوتَها من أحد

***

أنا مشتاقٌ فهل تعطف أو … لا تَرى في الحب رأيَ المشفق ؟
عادني البينُ بألوان الضَّنَى … فأجرني من بعادٍ مُوبِقِ
أين مني ناظرٌ يجلو الدجى … عن جفوني بسواد الغسق
أين مني بسمةٌ لاهيةٌ … جرحها في القلب باقٍ ما بقي

***

أنت مأمون على القلب فلا … تمتحن إخلاص قلبي بالجفا
شهدت حالي على حبي وهل … يستطيع الصب كتمان الهوى ؟
صاح ما في الحب مكنونٌ ولا … من روايات التصابي ما انطوى
يسكت العاشق عنها جهده … ويقص الدمع منها ما جرى

***

يا نجيَّ الروح لا تبعدْ فما … تصبر النفسُ على بُعد مُناها
طال ليلي فاجْلُها ضاحكةً … لا يطل الفجر إلا من سناها
طلعة غرّاء يستهدي بها … حائر في مجهل الأحلام تاها
وَجَدَتْ عيناي لما أشرقت … حسنَها واعتنقت روحي هواها

***

حبذا طيفك يأتيني وإن … سلب النوم وأهدى البُرَحاء
زائرٌ يخرجني من وحدةٍ … قرَّبت من شقوتي ما قد تناءى
أيهذا الليل إن آنسني … طيف من أهوى وأصفيه الولاء
قل لهذا النجم : لاتبرح ، وقل … لرسولٍ حلّ ضيفاً ، عِمْ مساء

(حمص) رفيق فاخوري

طلل*

للسيد عمر أبو ريشة

قفي قدمي ! إن هذا المكا … ن يغيب به المرء عن حسّه
رمالٌ وأنقاض صرحٍ هوت … أعاليه تبحث عن أُسّه
أقلّب طرفي به ذاهلا … وأسأل روحيَ عن أمسه
أكانت تسيل عليه الحيا … ة وتغفو الجفون على أنسه
وتشدو البلابل في سعده … وتجري المقادير في نحسه
أأستنطق الصخر عن ناحتِيه … وأستنهض الميْت من رمسه ؟!
حوافر خيل الزمان المشتْ … تِ تكاد تحدِّث عن بؤسه !!
فما يطمع الشوك في تربه … ولا يرغب البوم في مكنسه
وتهجر أوكارَها العنكبوت … وترجو التخلص من حبسه
لقد تعبت منه كفُّ الدمار … وباتت تخاف أذى لمسه !
هنا ينفض الوهم أشباحه … وينتحر الموت من يأسه !!!

(حلب) عمر أبو ريشة

(*) من ديوان (شعر) وقد صدر حديثاً

الفاروق عمر بن الخطاب

[ثاني الخلفاء الراشدين وأول حاكم ديموقراطي في الاسلام]

تأليف الأستاذ محمد رضا

يبحث عن حياة سيدنا عمر بن الخطاب ومناقبه وكلماته وخطبه ورسائله وفتوح الفرس والشام ومصر في خلافته ومصرعه ... الخ ويليه فهارس تحليلية علمية بأسماء القبائل والرجال والنساء فهو أدق وأوفى كتاب يجمع سيرة أمير المؤمنين وعهده الزاهر الذي صار مضرباً للأمثال في العدل . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق مصقول في ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير

ويطلب من المكتبة المحمودية التجارية بميدان الأزهر صندوق بوستة رقم ٥٠٥ مصر وثمنه ١٥ قرشاً لمصر والسودان و ٤ شلنات و ٢٠ فرنكا للخارج

الفنون

رمـــبراندت

REMBRANDT

للدكتور أحمد موسى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

أما صور الجماعات ، فمنها ما هو فى منتهى الروعة والقوة . وصورة التشريح تمثل عدداً من فطاحل أطباء أمستردام ملتفين حول جثة منبسطة على منضدة التشريح ، والدكتور تُلب يلقى عليهم شيئاً عن حالة تشريحية معينة أتم الفنان تصويرها سنة ١٦٣٢ ، وكانت فى دار جماعة الأطباء بأمستردام إلى أن أخذتها الجليرى اللوكية فى الهاى .. وهى صورة تمثل ثمانية أشخاص ، سبعة منهم يستمعون لثامنهم وهو الدكتور تلب ، وتظهر على الوجوه إجمالاً ملامح الوقار العلمى والشوق إلى معرفة الجديد . أما الدكتور تلب فقد مثل الثبات والهدوء اللازمين للعالم ، ماسكا « جفتاً » بيمينه رافعاً به الشرايين ، ناظراً إلى زملائه ، متحفزاً للشرح ، مشيراً بيسراه إشارة العالم الواثق الذى تنبعث من عينيه نظرة محيطة بالدرس والفحص ؛ وتبدو على وجوه المستمعين ظاهرة الرغبة الأكيدة والاستغراب . انظر للواقف إلى جانب الدكتور تلب ، ممسكا صفحة ورق بيسراه ، ألا ترى وجهه ناطقاً بالحياة ؟ ثم انظر إلى التكوين المجموعى للرؤوس وقد بدت اللحى نامية تحت الذقن ، سنة العلماء فى ذلك الحين . لقد جمع رمبراندت بين بساطة مظهر العالم وبين جلالة العلم والوقار ، أما الجثة فلا يمكن إخراجها بأحسن مما أخرجه رمبراندت ، فهى مسلوبة الارادة تماماً ، ترى اليد مرتمية ارتماء متراخياً على المنضدة ، فضلاً عما ظهر على الوجه من علائم فقدان الحياة ؛ فالفم مفتوح والعينان مغمضتان ، والجسم عار ، والذراع الايسر مشرح ظهرت منه الشرايين ممسوك بعضها بالجفت ، وهى فى مجموعها لا تدل فقط على القوة فى الاخراج ، بل تدل أيضاً على النزعة العظيمة التى نزع إليهـا رمبراندت ، فهو ميال إلى الجديد ، مدفوع بعامل الفن الى خدمة النواحى البعيدة التى لولا تفكيره فيها واتجاهه إليها لما شُرع فى عمل شبيهاتها غيره من بعده

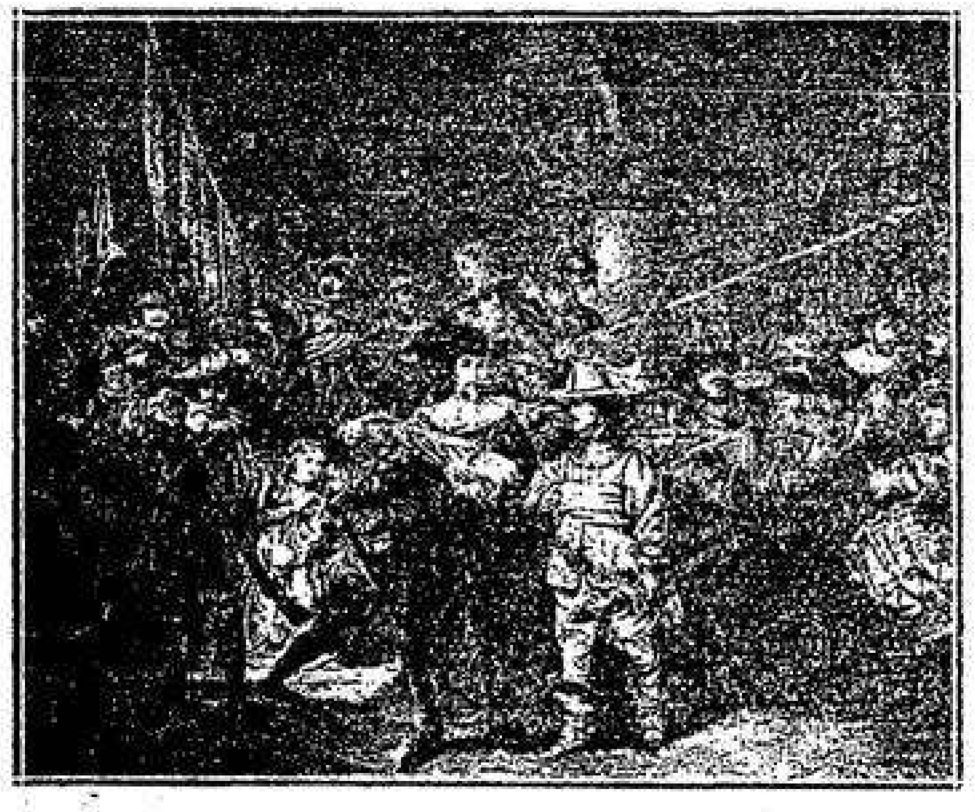


(التشريح)

ويكاد تكون أهم لوحاته عموماً صورة الحراسة الليلية وهى أكبرها مساحة ، إذ بلغ طولها أربعة أمتار ونصف متر وعرضها ثلاثة أمتار ونصف أو يزيد قليلاً . وبالرغم من أن الصورة تظهر كما لو كانت تمثل فرقة من الجنود الامستردامبين خارجين من مركزهم نهاراً ، نظراً لما وقع من أشعة النور على جانب من وجوههم ؛ إلا أن الظل والنور فى الصورة يعطى فكرة صحيحة عن قوة هذا العبقرى ولمسه جمال التصوير فى ظلام حالك يخترقه شعاع من النور ، فيزيد فى جلال التصوير بجوار الظلام الحالك . تمثل هذه اللوحة عشرين شخصاً لا ترى وجهاً يشابه الآخر ، ولكنه مع هـذا جمل الجزء منسجم فى الشكل ومندمج فى المجموع ؛ فهو بتصويره على هذه الصفة أشبه بملحن موسيقى يوزع قطعته على آلات موسيقية عديدة ، جاعلاً

الانسجام الكلى متوافراً بينهما ليتم بذلك الخلق الفنى المنشود

صورها رمبراندت فى فترة طويلة وأتمها سنة ١٦٤٢ ، وهى مع اتساع مساحتها مليئة بالانشاء ، لا ترى فيها فراغ إصبع دون معنى أو دون عناية ، جعل الظل شديداً والنور شديداً hellpunkel فظهرت بألوانها الساحرة معجزة عصره



(الحراسة الليلية)

ومجموعته للصور الدينية كبيرة عظيمة من أهمها صورة (بولص فى السجن) مؤرخة سنة ١٦٢٧ ومحفوظة باستوتجارت ، وشمسون ودليلة سنة ١٦٢٨ ببرلين ، والعائلة المقدسة سنة ١٦٣١ بميونيخ وتجهيز الصليب ١٦٣٣ بميونيخ أيضاً ، وإنزال المسيح من الصلب ١٦٣٣ ، وضحية إسحاق ١٦٣٥ بيطرسبرج ، وسيمون يُنذر حماه ، وصعود المسيح ١٦٣٦ ، وعائلة توبياس ١٦٣٧ باللوفر ، وبعث المسيح ١٦٣٩ بميونيخ ، وبحث العذراء عن المأوى ١٦٤٠ فى جروسفنور هاوس بلندن ، والعائلة المقدسة باللوفر ، وتضحية مانوا مؤرخة ١٦٤١ بدرسدن ؛ وهى أيضاً تكمل تعريفنا بفنان لا يمضى يوم دون ذكر اسمه فى عالم الثقافة والفن . انظر إلى وجهى القديسة والقديس وما بدا عليهما من فرط الخشوع والاستسلام . أما الملابس بثناياها وتفاصيلها ، والدار والمدخل والسلم ، فكلها بجانب ما ظهر على تكوين الملاك الصاعد شىء ثانوى ؛ صوّره كما لو كان مسحوباً من أعلى بارادة خارقة ، وتراه وقد تجرد عن الارادة الذاتية صاعداً دون مقاومة

وصورة الزوجة الزانية أمام المسيح ١٦٤٤ ، والعائلة المقدسة ١٦٤٥ بيطرسبرج ، وابراهيم مضيفاً للملاك ١٦٤٥ بيطرسبرج أيضاً ، وسوزانا فى الحمام ١٦٤٧ ببرلين ، وداود وشاؤل يعزفان الهارب بأمستردام ، وأولاد يعقوب يحضرون لأبيهم القميص الملطخ بدم أخيهم يوسف بيطرسبرج ، وعودة الابن المفقود (وهذه أيضاً من أحسن لوحاته) بيطرسبرج

أما الصور الطبيعية ، والتى ظهر أنها لم تتجاوز الاثنتى عشرة ، فمن أهمها صورة الطاحونة وهى فى حيازة اللورد لانسدون ، وصورة الرعد فى متحف براونشوايج ، وصورة منظر جبلى على سفحه بعض خرائب وهى مؤرخة ١٥٦٠ بجاليرى كاسل ، وصورة جبال وقع عليها ضوء القمر فجعلها تؤثر على الناظر تأثيراً شعرياً غريبا

ومجموعته بالقلم الرصاص والريشة معظمها باللوفر وفينا ، وبمتحف الصور اليدوية بميونيخ وبرلين ودرسدن ، وبالمتحف البريطانى ، وبمتحف هارلم وامستردام غير ما لدى الأثرياء ؛ وهى كلها تبلغ حوالى المائتين وستين صورة تصلح لأن تكون وحدها رسالة علمية فنية لحلقة فى سلسلة تاريخ الفن العام



(تضحية مانوا)

ولا يحضرنى الآن ما أقوله عن رمبراندت الخالد سوى قول شيلر :

« إن الانتاج الفنى الحق لا ينبغى أن يحيط بما هو خارق للعادة من الناحية الاشتمالية البحت ، ولكنه ينبغى أن يشمل ما هو خارق لها من الناحية التكوينية ، التى بها يتأثر الانسان بكليته ؛ على حين لا يتأثر إلى هذا الحد بالناحية الانشائية التى لا تهم غالباً إلا الاخصاء ذوى الحاجة المحدودة »

أحمد موسى

من هنا ومن هناك

غاندي والفيران

انتهى سلطان غاندى فى الهند وظهرت حقيقة الزعيم الذى كان بريق شهرته يخطف الأبصار . وفى الحق لقد كان الناس معذورين فى إعجابهم بغاندى ، لا سيما أيام اعلانه العصيان المدنى وصبره الجميل لبطش نائب الملك وغطرسة الحكام الانجليز ؛ فلما فشل العصيان المدنى ورأى الهنود أن غاندى كان يسخرهم فى تيه لا طائل وراءه ، هب الشباب فى أنحاء الهند يسخطون على المهاتما ولم يبالوا أن يلتفوا حول جوهر لال نهرو . وزهدهم فى غاندى انغماسه الشديد فى الهندوكية ، ودفاعه الحار عن تعاليمها التى هى سبب نكبة الهندوكيين . وغاندى برهمى سخيف العقيدة ، فهو مؤمن سنى يقدس البقرة ويتبرك بروثها بل يتطهر به ، وهو لذلك لا يرى مانعاً من أن تترك ٧٠ مليون بقرة سائمة ، لا يستطيع أحد أن يطردها من حقله إذا عاثت فيه أو نفشت فى زرعه . ويدعى غاندى أنه انصرف عن الميدان السياسى إلى نصرة المنبوذين وتخليصهم ، وكان ادعاؤه ذلك جميلاً لو أنه عمل به ، ولكن غاندى ، بدلاً من أن يوصى بالمنبوذين خيراً ويكف عنهم أذى البراهمة ، أوصاهم بالصبر على هذا الأذى ... لأن الدين يأمر بذلك ... وهو يقول إن الدين يأمر بذلك ، ويعلم أن الفيدا — كتاب البراهمة المقدس — لم يرد فيه سطر واحد يهون فيه من شأن هذه الطبقة البائسة . وبذلك كان غاندى ضغثاً على المنبوذين ، وكان موقفه المؤنس سبباً فى ثورة الدكتور أمبيدكار — زعيم المنبوذين — عليه وتصميمه على الانحياز بأخوانه ، وهم سبعون مليوناً — إما إلى المسلمين وإما إلى السيخ

ولكن المضحك من أمر غاندى هو انهيار ماضيه العظيم وتربيته العالية تلقاء خرافات الصوفية البرهمية التى لا تطاق . فقد حدث أن زلزلت الأرض زلزالها فى الهند وانخسف جانب عظيم من الأرض ، فما كان من غاندى إلا أن عزا الزلزال إلى غضب الآلهة ؟ ! وأحنق بذلك أديب الهند الكبير طاغور .

وحدث مرة ثانية أن اجتاح الهند طاعون قتال ، فأوصت الحكومة بوجوب محاربة الفيران لأنها أكبر الوسائل فى نقل ميكروب هذا المرض ... فما كان من غاندى إلا أن هب يحمى الفيران ويناضل عنها (لأنها مخلوقات ضعيفة لا حول لها وهى لا تستحق التعذيب والقتل لكى يسعد الناس ، والطاعون قضاء من السماء إن شاءت رفعته !!)

بين يوريبيدز وأرسطوفان

كان يوريبيدز عدواً للمرأة ، وهو فى كل دراماته كان يبشر بالحد من سلطانها وجعل الرجل سيدها المطلق . ولم يكن يؤمن بها مطلقاً ، وكان يبنى مآسيه دائماً على المصائب التى تنبع من مكرها والتى كان يعزوها إلى الشيطان الثاوى فى أعماقها ؛ وعلة ذلك أنه كان بائساً فى زواجه ؛ فقد دخل الجحيم عندما تزوج زوجته الأولى ، فلما خرج منها وتزوج زوجته الثانية استقر فى سقر ، ولم يسعه إلا أن يطلقها كذلك ، وقد طلق زوجتيه لأنهما كلتيهما خانتاه وصبتا إلى غيره ...

هذا ويوريبيدز أقوى رجال المسرح اليونانى ، ودراماته تدل على تفكير عميق وخيال خصب ، ولكنه هاج الرأى العام اليونانى بأفكاره المتطرفة وآرائه التى كان لا يتورع أن يسخر فيها بالآلهة ، بله الناس

وقد سلطت المقادير أرسطوفان — الدرامى الكوميدى — على يوريبيدز يوسعه سخرية ، ويتخذمن أدبه هزوا ؛ وأرسطوفان أكبر أديب مهرج عرفه التاريخ ، وهو لا يستحى أن يظهر على المسرح بطل الدرامة راكباً حماراً أعرج ، أو يلبس الرجل زى امرأة وما يلبث أن ينكشف آخر الأمر ؛ وقد يحشو الرواية بنكات مكشوفة تتصل بالعرض وتنهش الشرف ويحمر لها وجه الفضيلة

وسنلخص كوميديات أرسطوفان فى هذه النبذ فى الأعداد التالية ، غير أن الذى يروعنا منه فى هذه المناسبة هو جراءته

الكريهة على سيد أدباء اليونان والتعريض المزرى بأمه ؛ وكان يبالغ فى إيذائه فيتهمها بالدعارة والفجور ، وأنها كانت فى صدر حياتها تبيع الفجل والخيار والطماطم فى (مشنة) تحملها على رأسها وتنادى فى شوارع أثينا !! وكان اليونانيون يسمعون هذا البذاء ويغضون . وقد أدى رضاؤهم عن أرسطوفان إلى سقوطهم وظهور رومة عليهم

سرفانتس

هاج ضرب الثوار الأسبانيين للطراد سرفانتس ذكريات سرفانتس الكاتب الروائى الأسبانى العظيم صاحب (دون كويكسوت) والذى يباهى به الأسبانيون الانجليز كما يباهى الانجليز كل العالم بشاكسبير . والذى يقرأ سرفانتس لا يلبث أن يتملكه الاعجاب الشديد بذكائه الخارق ، ونشاط روحه التى يطبعها المرح ، وتسبح فى لجة من المزاح البرىء والدعابة الخلابة والنكتة الحلوة المضحكة . ولقد كتب سرفانتس مقدمة كتابه (دون كويكسوت) وهو نزيل السجن ، وقد صدرت تلك المقدمة عام ١٦٠٥ فما لبثت أن ترجمت إلى الانجليزية ثم الفرنسية بعد صدورها بعام واحد . هذا وقد صدر الجزء الثانى سنة ١٦١٥ ، وقد استطاع سرفانتس أن يتناول فى كتابه هذا الخالد حياة طبقات الناس فى أسبانيا كما لو كان عائشاً بينهم — ولم تفته طبقة من تلك الطبقات على كثرتها إلا وتغلغل فيها واندمج فى معائشها . فهو يصف المحامين والحلاقين ، والأطباء والسماسرة ، والمعلمين واللصوص ، والكهنة وعذارى الأندلسيات من العرب والطباخين وأميرات قشتالة والجزائر . وشخصية دون كويكسوت شخصية عجيبة اخترعها سرفانتس لجعلها تحب وتكره ، وتسخط وترضى ، وتنشد المثل الأعلى للحياة والقدوة الصالحة للفروسية ، ودون كويكسوت رجل غريب الاطوار ، وهو فى الحقيقة يمثل سرفانتس نفسه ، لأنه شقى كما شقى صاحبه ، وتعذب كما تعذب ، وجال فى الآفاق كما سجن سرفانتس وحى عبداً رقيقاً فى قيود البيئات المختلفة كما حي سرفانتس عبداً رقيقاً عند أحد أمراء الجزائر ببلاد المغرب . ولقد عاش سرفانتس فى العصر الذهبى لاسبانيا المسيحية فى القرن السادس عشر بعد جلاء العرب والقضاء على صولة ملوك الطوائف ، ومات فى نفس اليوم الذى مات فيه شاكسبير من عام ١٦١٦

يوريبيدز والسوفسطائيون :

يصغر يوريبيدز الشاعر الدرامى اليونانى الكبير مواطنه سوفوكلس بخمسة عشر عاماً ، ولهذه الخمسة عشر عاماً أثر كبير جداً فى المسرح اليونانى الذى بدله يوريبيدز وغير معالمه إن لم يكن قد هدمه وأقامه على أسس جديدة متينة . ففى هذه الفترة كان السوفسطائيون قد عظم سلطانهم ، واتسع مدى تعاليمهم ، وتأثر الناس بفلسفتهم ، لأنهم علموا اليونانيين قواعد النقد ، وبذروا فى نفوسهم الشك ، وجعلوهم يسترببون فى كل قديم حتى آلهتهم ، لأنهم كانوا يجيدون الجدل ويتقنون المنطق ، فوسعهم أن يصبحوا المعلمين الفنيين لجميع الشعب اليونانى المثقف . ولقد تأثر بهم يوريبيدز ، وانتهل من مورد فلسفاتهم ، ومن هنا ثورته على التقاليد القديمة للمسرح ، واستهزاؤه الشديد بآلهتهم ، ونظرته إلى هذه الآلهة نظرة السخرية المرة التى تقع فى اعتبارها موقع المردة والشياطين الجبارين ، لا موقع الأرباب الرحماء

حقيقة لقد أسخط يوريبيدز قومه ، ولكنه فتح عيونهم على حقيقة الحياة ، وبدلاً من أن يقدم لهم روايات أبطالها الأرباب وأنصاف الأرباب ، قدم لهم روايات أبطالها هؤلاء الناس ، وحوادثها تلك الحوادث التى تزدحم بها الحياة كل يوم . . . الحب ، والبغضاء ، والحقد ، والطمع ، والأنانية ، و . . . المرأة !

ولا نغالى إذا قلنا إن يوريبيدز هو الذى أثار الذهن اليونانى وأعد الافكار لثورة الفلاسفة (سقراط وأفلاطون وأرسطو . . .) وبالتالى فهو الذى أثار أذهاننا منذ أكثر من أربعة وعشرين قرناً

هل برنرد شو كافر ؟

لا تستطيع أن تدعو برنرد شو فيلسوفاً ؛ مع أنه أحسن الفلاسفة الذين يعيشون فى العصر الحديث ، وليس فى هذا الكلام تناقض ، إذ لا تستطيع أن تحدد فلسفة شو كما تحدد فلسفة نيتشه أو كانت أو ديكارت أو برجسون ، وكل من هؤلاء قد ترك أثراً كبيراً أو طفيفاً فى عصره وبيئته ، ولكن شو قد ترك آثاراً جليلة فى الدنيا برمتها ، وسيعيش أدب شو ، ولكن أدباً كأدب ولز سيموت . . ذلك أن أدب شو كتب لهذا الجيل وللأجيال القادمة ، أو قل إنه كتب للنفس البشرية

فى كل العصور ، ولكن ولز يكتب لهذا العصر الذى نعيش فيه فقط ، وقد ماتت كل كتبه التى دعا فيها إلى الأخاء الأممى . وها هى ذى الدكتاتوريات تبتلع آراءه وتغيبها فى أعماق الظلام . ولذلك كتبنا مرة أن ولز قد مات وكان ذلك يوم الاحتفال ببلوغه السبعين ، وكنا نقصد أنه مات بأفكاره وكتبه وقصصه لولا أن سها الصفاف فأغفل هذه العبارة

وفلسفة شو هى باقات يانعة من الآراء الاجتماعية منتثرة فى قصصه ودراماته ، وليست له نظرية محدودة كما للفلاسفة ، ولكن الذى يبرز بروزاً واضحاً منها هو كفره الصريح وإيمانه بأن الله هو الحياة نفسها ، وليس شيئاً آخر . ومع أن هذا الرجل متأثر إلى حد بعيد بالطهريين ، وهو إلى الآن ينحو نحوهم فى امتناعه عن إيذاء الحيوان والاكتفاء بالأغذية النباتية فانه يكفر بأفكارهم الدينية ويثور على تقاليدهم الاجتماعية بكل ما فيه من قوة وجلد . وقلما ألف شو فى الحب ، وهو يستهزئ بالمحبين ، ولذلك لم ترج دراماته فى مصر خاصة ، وفى ممالك البحر الأبيض عامة ، ذلك لأن شعوب هذا البحر شعوب وجدانيون مولعون بالموسيقى والرقص والغناء والفنون ، وهذه كلها من آلات الحب ، ويدلنا ذلك أيضاً على رجحان العقل فى رأس شو على القلب فى صدره ، ولذلك لم ندهش يوم زار مصر وتفرج على آثار توت عنخ واحتقرها ، وقال إنه جدير بمصر أن تبيعها للأمريكان وتبنى بثمنها سدوداً على النيل أو تسدد بها ديونها . حقاً إن شو لكافر !

د . خ

الرســـالة

تدخل عامها الخامس فى اول يناير ومعها فى أول فبراير :

الروايــــة

وهى مجلة للقصص العالى والسمر الرفيع ؛ تصدرها ادارة الرسالة فى سبعين صفحة

تعتمد فى الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربى فى القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والسير . وسيكون دستورها : الجمال فى الأسلوب ، والحسن فى الاختيار ، والنبل فى الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب

اشتراك الرواية المؤقت

تصدر الرواية مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه . لذلك سيكون بدل اشتراكها ثلاثين قرشاً فى مصر والسودان ، وخمسين قرشاً فى الخارج بدون تخفيض

اشتراك الرسالة المخفض

كل من يسدد اشتراك الرسالة الكامل وقدره ستون قرشاً فى مصر ومائة قرش فى الخارج قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه الرواية مجانا . وللمعلمين الالزاميين وطلاب العلم فى مصر أن يدفعوا أقساطاً متتابعة : أربعين قرشاً للرسالة وحدها ، أو ستين قرشاً للرسالة والرواية وكتاب من مطبوعات (لجنة التأليف والترجمة والنشر) لايقل ثمنه عن عشرة قروش ولا يزيد على خمسة عشر ، (وأجرة البريد على المشترك) أما طلاب العلم فى الأقطار العربية فيدفعون ستين قرشاً للرسالة وحدها ، وتسعين قرشاً أقساطاً للرسالة والرواية والكتاب

(تنبيه) رسم البريد للخارج مضاعف على الرواية لكبر حجمها ، لذلك سيكون اشتراك الامتياز فى شهر يناير للبلاد العربية تسعين قرشاً بدل ثمانين

البريد الأدبي

ذخائر أسبانيا الفنية

أثارت أهوال الحرب الاهلية الاسبانية جزع الكثيرين على مصير ذخائر أسبانيا الفنية والاذبية ، ولكن السنيور كارلوس مونيثلو رئيس اللجنة التى ألفت للمحافظة على هذه الذخائر يؤكد لنا أن تراث أسبانيا الفنى قد نجا من السلب والتخريب ، وأنه اليوم حيثما يصان من كل عبث ، ولم تفت هذه المشكلة الخطيرة حكومة مدريد حينما اشتدت وطأة الحرب الاهلية ، فقد ألفت لجنة من العلماء والفنيين لتعنى بالمحافظة على تراث أسبانيا الفنى ؛ وبادرت اللجنة بنقل ذخائر الاسكوريال (ومنها المكتبة العربية الاندلسية) إلى مكان أمين ؛ ولما اشتد هجوم الثوار على مدريد وتقاطرت قنابلهم على المدينة المحصورة نقلت اللجنة معظم الذخائر الفنية إلى بلنسية حيث تقوم الآن حكومة الجمهورية .

ويقول السنيور مونيثلو إنه قد فقدت بعض الذخائر أو أتلفت خلال الحرب ، ولكن من جهة أخرى وجدت ذخائر كثيرة كانت مدفونة فى أعماق الاديار أو مخبأة فى المجموعات الخاصة ، وهذه وحدها تعدل كل مافقد أو أتلف أو تزيد عنه . وقد وجدت أيضاً عدة صور ومخطوطات ثمينة فى المنازل والمكاتب الخاصة التى تركها أصحابها حينما اقترب الثوار من مدريد ، ومنها مخطوطات كانت قد سرقت من المكتبة الوطنية . وقد سجلت هذه الذخائر كلها فى قوائم سرية حتى لا يعرف بوجودها أحد ، وحتى يبت فى مصيرها متى وضعت الحرب أوزارها ، ومما عثرت عليه اللجنة من الذخائر المجهولة مخطوط بأغانى برثيو أقدم شاعر أسبانى ، ومخطوط من كتب لوبى دى فيجا أعظم شعراء أسبانيا .

وقد زعم الثوار أن الجمهوريين أتلفوا ذخائر كنيسة طليطلة ومنها صورة الجريكو الشهير ، ولكن السنيور مونيثلو يؤكد أن الجمهوريين غادروا الكنيسة سليمة بكل ذخائرها وحافظوا عليها حتى اللحظة الأخيرة ، وحاولت اللجنة الجمهورية أولا أن تحمى المتاحف العامة بوضع أكياس الرمل وحظائر السمنت ، ولكن إلقاء القنابل المحرقة كان يهددها بالدمار ، فعندئذ قررت نقلها من مدريد ، ونقلت معظم الذخائر الشهيرة مثل صور موريليو ، وفيلاسكيز ، ونقوش جويا ، وصور رافائيل كلها إلى بلنسية ، ولما شبت النار فى قصر دوقات ألبه من جراء قنابل الثوار ، بذل الجمهوريون جهداً عنيفاً لانقاذ معظم ما فيه من الذخائر الفنية ، وهكذا استطاعت الحكومة الجمهورية خلال الاهوال والخطوب أن تنقذ معظم تراث أسبانيا الفنى ليبقى ذخراً لاسبانيا وللحضارة كلها

حول تنظيم المسرح المصرى

نشرت مجلة «الكوميديا» الفرنسية فى أحد أعدادها الأخيرة مقالا عن تنظيم المسرح المصرى ، ذكرت فيه أن المسيو جورج ريمون مراقب الفنون الجميلة بوزارة المعارف العمومية قد اقترح على الوزارة أن تنتدب الفنان الفرنسى الكبير المسيو أميل فابر المدير السابق لمسرح «الكوميدى فرانسيز» ليقوم بمهمة تنظيم المسرح المصرى . والأستاذ فابر من أعظم الاخصائيين فى فن التنظيم المسرحى ، ومن أعظمهم مقدرة وافتنانا ؛ وقد أشرف مدى أعوام طويلة على تنظيم مسرح الكوميدى فرانسيز وهو مسرح الدولة ، وأحرز على يديه تقدماً باهراً . ولكن الذى يدعو إلى التأمل أن ينتدب المسيو فابر لتنظيم مسرح شرقى ذى تقاليد خاصة تمتزج بعادات الشعب وعقائده الدينية ، ذلك أنه إذا كانت روح المسرح ومقاصده واحدة فى مختلف المجتمعات ، فانه يختلف فى توجيهه وفى مظاهره وفى وسائله لتحقيق غاياته الثقافية ، باختلاف الامم والشعوب ، وهذا ما نرجو أن تفطن إليه وزارة المعارف

وقد صرح مسيو فابر لمكاتب الصحيفة المذكورة أنه قد خوطب فعلاً فى قبول هذه المهمة وأنه قد يسافر قريباً إلى مصر

مجموعة شعرية فرنسية عن مصر

أصدرت السيدة إيمى خير الكاتبة الشاعرة المعروفة وعضو نادى القلم المصرى مجموعة شعرية جديدة بالفرنسية عنوانها «تعاريج النهر» Méandres ؛ وتحتوى هذه المجموعة على عشرات من القصائد والمقطوعات الساحرة فى وصف أيام مصر ولياليها ، ومروجها وضفاف نيلها ؛ وعدة أخرى فى سعادة الأمومة ومتاعبها . ويمتاز نظم السيدة إيمى خير بالدقة والبساطة المؤثرة ؛ وهى فوق كونها شاعرة أديبة ممتازة ، عالجت القصة وأخرجت منذ بضعة أعوام بالفرنسية قصتها المعروفة « سلمى وقريتها »

بعض أوراق البردى المصرية

كانت مكتبة ريلاند الشهيرة بمنشستر قد اقتنت فى سنة ١٩١٧ على يد الدكتور رندل هاريس مجموعة من أوراق البردى المصرية ، وبينما كان العلامة الأثرى الأستاذ روبرتس يعنى أخيراً بفحص هذه المجموعة إذ استوقف نظره قطعة سميكة من الورق القوى كانت قد وجدت فى تابوت مومياء ، وظهر بفحصها أنها مجموعة من عدة أوراق البردى ألصقت معا ، فتولى الأستاذ علاجها ووصل أوراقها ، ولجأ فى ذلك إلى عدة عمليات صعبة دقيقة ، وكلل مجهوده بالنجاح إذ أخرجت كل ورقة منها على حدة ، ووجد أنها عبارة عن مجموعة أدبية شعرية ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد ؛ ومن بينها عدة مقطوعات من كتاب « الدوترونوم » ، وعدة أخرى من الكتاب الأول من « الالياذه » ، وقطعتان من مأساة يونانية قديمة ، وقطعة من كتاب تاريخى ، وبعض قصائد متفرقة ؛ فعولجت الأوراق جميعها ، وألقيت عليها طبقة من الصمغ تمسك أجزاءها .

عصير البرتقال والدم الانسانى

هل يحل عصير البرتقال مكان الدم الانسانى ؟ إن عملية نقل الدم الانسانى من شخص سليم قوى البنية إلى شخص عليل يحتاج إلى الغذاء الدموى ليست حديثة ، فقد ظهر من النقوش والصور المصرية القديمة أنها لم تغب عن تفكير الطب المصرى القديم . ولكن هذه العملية تغدو اليوم من أهم الظواهر والوسائل الطبية فى عصرنا ؛ وفى برلين وحدها مائة شخص من الأقوياء يعطون دمهم للمرضى ؛ واشتهر من بينهم بالأخص شخص يدعى أدموند اكارث تبرع منذ سنة ١٩٣٣ إلى نحو خمسين مريضاً بدمه وخص كل منهم نحو نصف لتر ، والمدهش فى أمر هذا الرجل أنه يعيش طبقاً لنظام خاص ، ويشرب كميات كبيرة من عصير البرتقال والليمون ، ويؤكد أن هذا العصير من أعظم المقويات الغذائية والدموية وهو يتناول منه نحو ثلاثين قدحاً فى اليوم . وقد أثارت حالة هذا الشخص دهشة الأطباء ، ويتولى بعضهم فحصه ليرى مبلغ ما يمكن أن يؤديه عصير البرتقال فى تقوية الدم وغزارته

التدريم Manicure بمناسبة ما جاء فى افتتاحية العدد الماضى

أهم شىء فى (المنيكير) هو تسوية الأظفار بعد القص ، فاذا وضعت لها لفظة (التدريم) مشت الحال

جاء فى القاموس المحيط : « درم أظفاره تدريماً سوّاها بعد القص »

والاصطلاح والاستعمال سيشملان سائر تلك العناية باليد ، وهل اللغات أصلها إلا تواضع واصطلاح ، فيقال :

فن التدريم ، تدريم اليد ، درمت يدى ، الآنسة المدرمة ، الأوانس المدرمات ، ما أجمل هذا التدريم

« وفوق كل ذى علم عليم »

أحد القراء

النشيد القومى

نشرت جريدة الأهرام هذا الخبر :

تلقى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف كتابا من لفيف من حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء هيئات التدريس بكليات اللغة العربية وأصول الدين والشريعة الاسلامية والمعهد الأزهرى يرفعون فيه باسم اللغة والدين إلى معاليه أجمل عبارات الشكر والتقدير لاقراره النشيد القومى ، حامدين لأعضاء لجنة التحكيم يدها البيضاء على البلاد وعلى رأسهم سعادة رئيس مجلس النواب

وقد طلبوا إلى معالى العرابى باشا تعميم النشيد بين جميع أبناء البلاد طلاباً وشعباً ؛ ثم رجوا فى آخر كتابهم أن تساير النهضة الوطنية الحاضرة نهضة دينية لتصبح البلاد مثلاً أعلى فى الفكر والدين والخلق

* * *

وهذا الخبر العجيب في صورته العجيبة ، هو إجماع من لفيف من حضرات علماء الأزهر الشريف على أن النشيد لا غلط فيه ولا إلحاد ولا ضعف ولا ركاكة ، ثم هو إعلان للناس جميعاً ليقولوا سمعنا وأطعنا . . .

ومعنى هذا أن لفيفاً من حضرات علماء الأزهر يردون على مانشر في «الرسالة» من غلطات هذا النشيد رداً لا برهان فيه إلا كلمة « العلماء »

وهل يكفي في مثل هذا القرار أن ينسب إلى لفيف من علماء الأزهر ليقول للناس : « إنه لقول فصل وما هو بالهزل » ؟ ونحن في زمن العلم الذي قاعدته « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ؟ . . .

لقد نزل حضرات العلماء إلى المعركة ، فلنا أن نطلب منهم الرد على ماجاء في « الرسالة » من غلطات النشيد واحدة واحدة .. فإن لم يتفضلوا بذلك قلنا لهم الكلمة المشهورة : ولو أفتاك المفتون ... نعم ولو ! . .

السيد زيادة

الاجتهاد في الأصول

قال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي (الرسالة ١٧٩) : وأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل للمجتهد إذا أخطأ أجراً واحداً وإذا أصاب فله أجران ، ولم يفرق في ذلك بين أصول أوفروع ، بل أطلق الأمر اطلاقا ، وفتح باب الاجتهاد في الأصول والفروع معاً فأنكرت هذا القول أشد الانكار ، وعجبت منه أشد العجب لأن الاجتهاد (في تعريفه الأصولي) هو بذل الجهد في طلب العلم بأحكام الشريعة ، وهو عبارة عن استنباط الفروع من الأصول ، ولأنهم ينصّون في كتب الأصول (راجع كتاب الخضري ، وهو أقرب المراجع ص ٤٥٧) ينصّون على أن المجتهد فيه هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قاطع ، يخرج من ذلك ما لا مجال للاجتهاد فيه مما اتفقت عليه الأمة من جليّات الشرع ، أما المسائل الكلامية ، أي الأصول (راجع الخضري ص ٤٦٢) فالحق فيها واحد ومن أخطأ فهو آثم ، فان كان الخطأ فيما يرجع إلى الايمان بالله ورسوله فالمخطىء كافر

وقد ألحق الأصول بالفروع الجاحظ وأشباهه ، ممن لا يعتد بهم ، ويتضح بطلان مذهبهم لكل من كان واقفاً على شيء من علم الأصول

علي الطنطاوي

هومير لابلاند

نعت إلينا أنباء السويد الأخيرة كاتباً من طراز خاص هو صائد الذئب والكاتب اللابي الشهير يوهان توري Johan Tuuri توفي ببلدته يوكاسيرفي في قاصية لابلاند (شمال السويد) في الثانية والثمانين من عمره ؛ وكان توري في شبابه من أشهر صائدي الذئب في تلك الأنحاء الثلجية ، وكان كاتباً وشاعراً ماهما بالفطرة حتى أنه سمي « هومير لابلاند » ، وعرف توري لأول مرة حينما أصدر كتابه الشهير عن الشعب اللابي بلغته الأصلية التي يجيد الكتابة بها ، ويرجع الفضل في حثه على تأليفه وإخراجه إلى آنسة دانماركية تدعى أميلي ديمانتهات عرفته في رحلة لها إلى لابلاند حيث أقامت حيناً بين القبائل اللابية ودرست أحوال معيشتهم ، وعندئذ فاتحها توري برغبته في وضع كتابه عن حياة هذا الشعب القطبي للدهش ، ولم يكن معتاداً على الكتابة ولا على الجلوس إلى المكتب ، فشجعته وعاونته حتى أتم الكتاب ؛ ثم ترجمته إلى اللغة الدانماركية ، فنال نجاحا عظيما وذاعت شهرة مؤلفه في الأمم الشمالية كلها

وكتب توري بعد ذلك عدة كتب باللغة اللابية أيضاً وترجمت جميعها إلى السويدية والنرويجية والدانماركية ؛ وأنعم عليه بوسام شرف لما أداه من مجهود في التعريف بجنسه وأمته ؛ وكان فوق مواهبه الأدبية يشغف بالرسم ، وله عدة لوحات قطبية بديعة نالت تقديراً واعجابا

وكان توري صياداً بارعا ويقال إنه قتل من الذئاب مالم يقتله أي صائد آخر في عصره ، وكان في أعوامه الأخيرة يعيش من راتب صغير أجرته عليه الحكومة ، ويغذي نفسه بالأسماك التي يصيدها بنفسه ، وقد احتفل مواطنوه منذ عامين ببلوغه الثمانين في حفلة قطبية رائعة أفاضت في وصف طرافتها وبهائها الصحف السويدية .

وحي القلم

إلى المشتركين في السودان

أرسلنا الكتاب لحضرات المشتركين في السودان ودفعنا أجرة البريد تسعة قروش ونصف قرش عن كل نسخة ، مع أن كل مشترك لم يرسل لأجرة البريد غير ثلاثة قروش ولم نؤخر الكتاب عنهم ثقة بهم ؛ فنرجو أن يتفضل كل منهم بارسال الفرق ولهم الشكر

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

الكتب

وحى القلم

تأليف الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم

للدكتور عبد الوهاب عزام

أنا معجب بالرافعى منذ قرأت له . وأحذر أن يغطى الاعجاب على بصرى ، وتكل عين الرضا عن العيوب ، وقد اتهمت نفسى ، ولتكافئ التهمةُ الاعجاب ، ويعادل الحبّ الارتياب

الرافعى نسيج وحده ؛ تقرأ له فتشعر أنك فى اختراعه وتصويره ، وبيانه وتفكيره ، لا يذكّرك بأحد ، ولا يذكّرك به أحد . وحسب الكاتب أن يكون كوناً مستقلاً يستملى الضمير ، ويُبدع فى التصوير ، وكثير من الكتّاب قوالب تختلف أحجامها وأشكالها ، ولكنها صور مستعارة لا تفتأ تستعير مادة عملها

بين شعراء الفرس شاعر تَسَمّى « خلاق المعانى » ؛ والرافعىّ فى وحى القلم جدير بهذا اللقب . وما أعسر الخلْق هنا ، وما أصعب الابداع . يعمد إلى الحدث الصغير ذى المعنى المحدود فيحطم حدوده ويصله بالبشرية كلها ، أو يُشيعه فى العالم كله ، ويصوّره صوراً تلقى القارئ بجدّتها وروعتها . والكاتب الملهم يرى الخليقة أسباباً متصلة ، ومعانى متجاوبة ، وصوراً متجاذبة ، فما يبصر ذرة إلا رأى وراءها الفلك ، ولا يمسك شعاعاً إلا جذبه إلى الشمس ؛ وكأن كل شىء فى الوجود عين تطل على العالم غير المحدود . تنثال عليه الفِكَر وتتزاحم أمامه الصور ، فيكون همه أن يشق طريقه بين المعانى المتزاحمة ، ويحدّ سبيله بين الطرق المتشعّبة ، وأن يطرد المعانى التى لا يريدها عن المعانى التى يقصدها . فهو من الخصب فى نصب — نصب الكاتب المقلّد من الاجداب والاجبال

العالم أمام الرافعى كتاب مفتوح ، يدرك فيه جمال الحروف وحسن السطور ، ثم ينفذ إلى ما لا ينتهى من المعانى . وما يزال يعرض المعنى الواحد فى صور رائعة حتى يدع القارئ معجباً حيران ، قد اجتمعت على القراءة خفقاتُ قلبه ، ونظرات عينه ، وأسارير وجهه . فلو أن الرافعى صور هذه الخفقات وبينَ هذه النظرات والقَسَمات لا سترد البيان الذى أفاضه على قارئه

والرافعى يُغرب أحياناً ، أو يدقّ فيبهم معناه . وفى هذا ثورة بعض الأدباء عليه ، ولكن الذى آمن بقدرته فيما وضح واستبان من كلامه يؤمن أنه حين يغمض يتحيل لمعنى دقيق خفىّ لم ترُضْه الألفاظ ، ولم يذلّله الكتّاب ، أو يتلطف لفكر نفور أبد ليختله . وكثيراً ما يخيّل إلىّ وأنا أقرأ آبدات الرافعى أنى أُتبع بصرى طائراً يرتفع فى اللُّوح ثم يرتفع حتى تُضمره السحب ؛ فلا تراه العين ولكنها تعرف أنه فى جوّ السماء . فان قيل إن هذا حُكم الاعجاب والرضى ، قلت فانى أتهم نفسى فلا أدفع عن هذه الأوابد . ولكن وحى القلم برىء من الغموض والابهام ، وإنما أكتب اليوم عن وحى القلم

وهذا الكاتب النابغة نزّاع إلى الجمال ، طمّاح إلى الفضيلة ، مولع بكل خلق كريم ، فلا يعالج أمراً إلا حلّق به إلى الجمال والرأفة والرحمة والاحسان والحرية والأقدام وهلم جرّا

وقلبه فياض بالايمان والطهر ، فاذا كتب فى الدين وما يتصل به ارتقى إلى حيث تنقطع المطامع . اقرأ مقاله : « سمو الفقر فى المصلح الاجتماعى الأعظم » . إنها تملأ القارئ إعجاباً ، وتسمو به حتى يحسب نفسه ملكاً محلّقاً يرى مآتم الناس ومصائبهم من حيث لا تتعلق به ولا تستهويه ؛ ولا يوفق لهذا البيان إلا مسلم ملهم كالرافعى ، يكتب فى حقيقة علوية كالنفس المحمدية . ثم اقرأ فى مقاله : « الله أكبر » وصف المسجد ونشيد الملائكة ؛ لقد قرأت فكانت تنبعث التكبيرة من قرارة نفسى ، فأمسكها مؤثراً الاسماع إلى هذا التكبير الذى يدوى به المسجد ؛ فلما انتهى

المقال لم أملك أن رفعت صوتى بآخر كلمة منه « الله أكبر »

هذه النزعات العلوية ، والسمو الروحى يتجلى فى مقالاته : الاشراق الالآهى ، فلسفة الاسلام ، حقيقة المسلم ، وحى الهجرة ، فوق الآدمية ، درس من النبوة ، شهر للثورة ، ثبات الأخلاق

الرافعى كاتب الاسلام والعربيـة ، يتناول الحديث الصغير فى تاريخ الاسلام ومآثر العرب فيجعله عنوان فصـل بليغ من الحكمة والموعظة ، يسايره فيـه القارئ متعجباً : كيف ولدت الواقعة الصغيرة هـذه المعانى التى تحاول أن تكون تاريخ جيل ؟ . اقرأ « زوجة إمام » و « السمكة » . واقرأ « يا شباب العرب » و « يأيها المسلمون »

وهذا الـكاتب السماوى أبرع الناس تحليقاً بالحب الطاهر ، وأعظمهم ترفعاً به ، وأبصرهم بالمهاوى والمهالك التى يحلق عنها هذا الحب العلىّ الأبىّ . نظرة إلى السماء تصف العلاء والضياء والطهر والسمو الروحى الذى لا يحد ، ونظرة إلى الأرض تصف السقوط الحيوانى ، والهوىّ الشيطانى ؛ فترى القارئ مدعواً الى السماء ، مطروداً عن الأرض ، طائراً إلى الخير ، نافراً عن الشر

وإذا وصف صاحبنا الجمال ، بث فى العالم معانيه ، ونفض عليه ألوانه ، فكأنما خلق العالم خلقاً جديداً . يخلق من الشعاع شمساً ، ومن القطرة نهراً ، ومن الوردة حديقة ؛ ثم يغرد فلا يُدرى أهذا التغريد تفسير هـذا الجمال ، أم هذا الجمال تصوير هذا التغريد . ولا يدرى القارئ أهو فى ربيع باهر ، أم فى بيان ساحر ؟ . وما أشبه قلمه وهو يشـقق المنظر المُقفل عن سرائر الجمال بإبرة الحاكية ، تسلط على الصفحة الجامدة السوداء فتردّها كلاماً وأنغاماً وألحاناً ؛ واقرأ « عرش الورد » تر كيف جعل ابنته على عرشها مركزاً يحيط بها الجمال فلكا دائرا

ولله مصطفى حين يتغلغل فى الجماعات ، فيحس آلامها ، ويصف أسقامها ، ويُعرب عما فى ضمائر البائسين ، وعمـا فى رءوس المتكبرين ؛ ولا يزال بالمعنى الذى يراه الناس جمادا ، يقدحه حتى يخرج منه النار والنور . ويأخذ الحادثة الصغيرة ينطقها عما وراءها ، ويكشفها عما انطوت عليه حتى يقيم بها للانسانية عرساً أو مأتماً . اقرأ « أحلام الشارع » تسمع أنات البشرية وتر عبراتها وتلمس مصائبها مصورة ملونة بدم المهج وماء العيون ونار الزفرات وحز الحسرات وسواد الفاقة والذلة ؛ ثم تسمع لعنة الانسانية على لسان ما خلقت الانسانية من قوانين . والعجب أنك كلما أسال الحزن عبراتك طبع البيان الساحر على شفتيك بسمة إعجاب لا تملك نفيها . واقرأ « عربة اللقطاء » تر أنه صاغ من أسرارهم حروفا للهجاء تسع كل معنى ، وتمثل الآثام التى ولدت هؤلاء ، والمصائب التى يحملها هؤلاء ، والمفاسد التى سيلدها هؤلاء . وتقرأ « لحوم البحر » فتستمع إلى الشيطان والملك ، كل ينشد أناشيده . ويستخرج الرافعى منها دعوة إلى الفضيلة ولعنة للرذيلة ، وهو قادر على تسخير الشيطان لبيانه . فقد أعطى فى البيان مُلك سليمان .

وإذا وعظ مصطفى الصادق نفذ إلى السرائر ، وصور للانسان فضائله ورذائله تصويراً لا يدع له أن يختار إلا الأولى وأن يهجر إلا الثانية . وهو لا يعمـد إلى النذُر يصبها على النفس صب السياط ، بألم لهـا الجسم ، ويموت القلب ، بل يعمد إلى الحياة يصورها هنا على حقائقها نافياً عنها تلبيس إبليس ، وإلى القلب ينفخ فيه العظمة ، ويبث فيه الفضيلة والطهارة والطموح إلى كل خير ، والنفور من كل شر . واقرأ له « وحى القبور »

وهذه المقاصد الجليلة والنزعات السامية تخالطها دعابة دقيقة ، وسخرية نافذة ؛ ترى الـكاتب يرتفع فوق العالم ثم يسخر مما عبّد الناسَ من أباطيل وأهواء ، فاذا التماثيل التى يسجدون لها تهاويل ، وإذا الهول الذى يفزعون منه تهويل ، وإذا العظمة والـكبرياء والسلطان والجاه والغنى وكل ما عدّه الاجتماع عظمة لقوم وحقارة لآخرين ، أضاحيـك يخلقها الجهل ، ويهدمها العقل ، ويقدمها الانسان حيواناً ، ويحطمها الانسان إنساناً -- وأعوذ بالله من الرافعى إذا انطلق ساخراً يرسل بيانه طمنات دراكا وهو يضحك ضحك البرق فى السحاب الراعد ، أو لمع السيف فى يد الضارب .

* * *

وبعـد ، فهذا وصف الروض فى كلمات لو كانت أزهاراً ما مثلته ، ونعت البحر فى سطور لو كانت أمواجاً ما صوّرته . فأما الروض فى بهجة جماله ، والبحر فى روعة جلاله ، فهما ماخطه الرافعىّ . فان شئت فقل جنات فى صفحات ، وعباب فى كتاب ؛ وإن شئت فقل إنه العالم فى سطور قد انتظم ، ووحى إلـهى سماه الرافعى « وحى القلم »

« ذلك الفضل من الله »

عبد الوهاب عزام

العالم المسرحي والسينمائي

نشيد الأمل

إنتاج شركة أفلام الشرق

لناقد الرسالة الفني

السيناريو والإدارة الفنية (الإخراج)

تحدثنا فى العدد الماضى عن قصة الفلم التى أخذ عنها السيناريو ، ولكن القارىء فيما أعتقد يرى أن هناك بعض نواح كان من الخير إهمالها ، مثل مناظر عصابة تجار المخدرات

إن سر نجاح الأفلام الفنية أنها تؤدى رسالة واحدة وتشبع فيها ناحية واحدة هى ناحية الفن الخالص ، ولكن الأستاذ بدرخان عندما كتب سيناريو « نشيد الأمل » وأدار الفلم أعطى بعض المناظر أهمية لا تستحقها ، وأخذ لها صوراً كثيرة ؛ فتصويره للاستديو وشركة الطيران والباخرة النيل جعل من الفلم أداة دعاية ، ونحن يسرنا بالطبع هذه الدعاية لمؤسسات مصرية وطنية ناجحة نؤيدها ونعتز بها ، ولكن يؤسفنا أن نقلل من القيمة الفنية لأفلامنا بمثل هذا التصرف

وهو كذلك لم ينصف شخصياته ، فتراه فى دور الدكتور عاصم — وهو الشخصية الرئيسية الأولى فى القصة — قد اختزله وجعله ثانويا فى حين جعل دور المخرج دوراً رئيسياً وجارى غيره

مجموعة قصص

من الأدب الحديث

تأليف السيد عبد الوهاب الأمين

مؤلف هذا الكتاب شاب عراقى من أولئك الشبان الذين يكتبون القصة ، ويكتبونها للفن ، ويسمون بفنهم وتفكيرهم وعمقهم عن مستوى الجماهير . وفى الكتاب خمس عشرة قصة ، منها الموضوعة ومنها المترجمة ، والمترجمة منها لكبار كتاب القصة القصيرة فى الغرب ونحوهم ؛ وناهيك بتشيكوف ، وبيراندللو ، وويلز ، وموبسان من أسماء !.. ولقد ترجم المترجم وتخير أحسن روائع هؤلاء وأمسها بمشاعرنا وإحساساتنا ، ولا ينقصه فى عمله هذا إلا المراجعة الدقيقة وتخير الألفاظ ، وصقل الأسلوب

أما القصص الموضوعة : فكلها تصور تقريباً شخصيات مريضة مضطربة كثيرة الهواجس والخواطر والشرود الذهنى ، ولهذا كانت القصص تحليلية فيها عمق وبراعة وصدق ، ولا يعوزها كذلك إلا عرض الصور الذهنية قوية على القرطاس كقوتها فى ذهن الكاتب . . .

ولا يمنعنا هذا من أن نقول : إن هذا القصصى الشاب من أحسن الشبان فى الشرق العربى الذين يفهمون القصة على أحسن وجه ، ويتأثرون تأثراً عميقاً بكتاب القصة الانجليز والروس الذين سموا بالقصة وبلغوا بها نهاية مجدها ؛ كما أننا نكبر فيه إخلاصه للفن القصصى الذى دفعه إلى الكتابة بهذا العمق وهذا الابداع وهذا اللون الجديد من الأدب ، مع علمه بأن الجماهير فى الشرق العربى على الاخص لا تستسيغ القصة التحليلية ولا تتأثر بها ، مع أنها خلاصة الفن ونهاية الرقى فى هذا الميدان الأدبى ؛ وهو مع شبان قليلين فى مصر يستحقون كل إعجاب وإكبار

والكتاب فى اثنتين وتسعين صفحة من القطع المتوسط ، وهو مطبوع بمطبعة الثغر بالبصرة على ورق مصقول

(ميم)

من المديرين الفنيين المصريين فى استغلال عناصر الضحك فى الفلم إلى أبعد حد بإفساح المجال للشخصيات الهازلة . وأعتقد أن بدرخان وفق فى كتابة سيناريو « وداد » أكثر مما وفق فى كتابة سيناريو « نشيد الأمل » ولا سيما فى خلق مناسبات الغناء ، فهى فى الأول تكاد تكون طبيعية جداً على عكسها فى الثانى إذا استثنينا الأغنية الأولى

لم أرد بهذا النقد إلا توجيه نظر المدير الفنى وكاتب السيناريو إلى ما كنا ننتظر منه وما كانت نفوسنا تصبو إليه ، وأن نشرح له وجهة نظرنا فى صراحة ، ولا سيما وهذا أول عمل يقوم به حتى يكون غيره من المديرين على هدى فى عمله القادم وأقرب إلى الكمال . وأنا على ثقة من أن الأستاذ بدرخان سيحمله على المحمل الصادق الذى أرمى إليه

والنواحى التى أبدع فيهما بدرخان هى نواح فنية خالصة ، وهى الاضاءة وزوايا التصوير ؛ فهو يستحق فى هاتين الناحيتين أطيب الثناء ، ونجاحه فيهما يرفع قيمة الفلم ويغطى على كل تصرف أو نقص آخر ، ويبدو جلياً أن الصور التى أخذت للآنسة أم كلثوم فى « نشيد الأمل » أبدع وأحسن من الصور التى أخذت لها فى « وداد »

الأغانى :

ليس فى أغانى الفلم نوع جديد ، فهى من النوع الذى اعتدنا سماعه على التخت ومن الاسطوانات . وكان الواجب على من يلحن أدواراً للفلم أن يتذكر أنه يلحن لممثل أو ممثلة وظيفتهما فى الفلم أن يترجما عن العواطف وما يضطرم فى النفس من متباين الأحاسيس ، وليس الغرض ربط نغمات يلذ للأذن سماعها . فلعل الأستاذ القصبجى والأستاذ رياض السنباطى يتنبهان إلى هذه الحقيقة ؟!

أما الغناء فان الآنسة أم كلثوم قد ملكتنا بصوتها الرائع ، وقد تحدثنا فى العدد الماضى عن هذه الناحية وأفضنا فيها

التمثيل

لا شك أن الآنسة أم كلثوم نجحت فى هذا الفلم كممثلة نجاحا طيباً ، وإن كانت حركاتها مقيدة بعض الشىء ، ولو تركت لنفسها الحرية لكانت مواقفها أبلغ فى النفس أثراً ، ولكنها فى هذا تخضع لأوامر المخرج حتى تكون دائماً مواجهة لعدسة المصور حيث تبدو شخصيتها أروع وصورها أجمل

والأستاذ زكى طليمات مثل دور الدكتور عاصم ، وقلنا إن الدور مقتضب ليس فيه مجال يبرز فيه الممثل مقدرته وفنه ، ولكنه أحسن القيام فى النصيب الذى خص به ؛ وقام فؤاد شفيق بدور المخرج السينمائى فكان خفيف الظل ، وقد نجح نجاحا كبيراً كاد يغطى على غيره من الشخصيات ؛ وقام محمود رضا بتمثيل الدكتور محبوب وهى الشخصية التى نقلها رجال الشركة عن شخصية الدكتور الفاضل محجوب ثابت طبيب الجامعة المصرية ، فكان عذب الروح تمكن من اضحاك رواد الفلم ، ولكنه فى الحقيقة لم يستطع أن يصل إلى روح الدكتور محجوب وإن قلد بعض حركاته

واسطفان روستى قام بدور الممثل أمام الآنسة أم كلثوم ، وكان فى حركاته متكلفاً ففشل فى اضحاك الجمهور ، وغالى عباس فارس فى تصوير شخصية الزوج وإن نجح فى أدائها ، والطفلة سلوى كانت مبدعة وخفيفة ولعلها أحسن من أجاد فى الممثلين

يوسف

مرض البول السكرى
نصيحة من مريض (لله تعالى) إلى المرضى
مرضت بالبول السكرى وبالتجائى إلى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقنى الله تعالى إلى بعض أنواع بذور للنباتات لم أجدها إلا بمحل عطارة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبوزيد بالحمزاوى بمصر تليفون ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى ثمنها سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . وباستعمالها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مدهشة جداً ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ فى الألف
لذلك أخذت على نفسى عهداً أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرسالها لكل مريض خدمة للإنسانية متى أرسل إليه قيمة الثمن المذكور
أحمد ك . م .